بيروت ١٩٩٩
(من الديونيزياكا)
للشاعر باللغة اليونانية
نـنّـوس
(العهد الروماني)
ملحمة
بيروت الميمونه
(قصة الصراع الخالد من أجل بيروت)
الترجمة والشرح والتقديم بقلم
د. يوسف الحوراني
منشورات دار الثقافة
بيروت - لبنان

رسوم الغلاف :

- رأس ديونيسوس
(من آثار مدينة صور للعهد الروماني)

- بيروت النافرة من بوزيدون
(على نقود من عهد إيلغبال الروماني)

- حوريات الفنون والشعر الملحمي
(من متحف اللوفر)

- موزاييك من بيروت
(منطقة الجناح)

بيروت الميمونه

(من الديونيزياكا)

للشاعر باللغة اليونانية

نّنوس

(العهد الروماني)

ملحمة

بيروت الميمونه

(قصة الصراع الخالد من أجل بيروت)

الترجمة والشروح والتقديم

بقلم

د. يوسف الحوراني



منشورات دار الثقافة

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

فهرس المواضيع

كتب للباحث

- الإنسان فرد لا جماعة «دراسة اونتولوجية»، نشر دار مكتبة الحياة ١٩٥٦.
- الإنسان والحضارة «مدخل دراسة»، الطبعة الثانية، نشر المكتبة العصرية ١٩٧٢.
- لبنان في قيم تاريخه (العهد الفينيقي)، الطبعة الثانية، دار النهار للنشر ١٩٩٢.
- البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم، الطبعة الثانية، دار النهار للنشر ١٩٩٣.
- جماليات الحكمة في التراث الثقافي البابلي، دار النهار للنشر ١٩٩٤.
- قانا الجليل في الجنوب اللبناني، بلغات ثلاث، نشر وزارة السياحة اللبنانية ١٩٩٥.
- المجهول والمهمل من تاريخ الجنوب اللبناني (جبل عاملة)، من سجلاّت الفراعنة للألف الثاني ق.م.، نشر دار الحداثة - بيروت ١٩٩٩.
- مجاهل تاريخ الفينيقيين: خلال سانخونياتن البيروتي وفيلون الجبيلي (نصوص وأبحاث)، نشر دار الثقافة - بيروت ١٩٩٩.

المدخل

الشاعر ننُّوس وملحمة «بيروت الميمونه»

«الديونيزياك»، هي الملحمة الأكثر إثارة في التراث الكلاسيكي.

صاحبها هو الأكثر غموضاً في هذا التراث، حتى إن اسمه لا يزال مجهولاً، وما يتسمّى به ليس إلاّ لقباً يعني «المقدس» أو «المجِّد»، وقد أطلقه المؤمنون على نساك الصحراء في العهد المسيحي. وعندما حاول بعض المحققين إلحاق الاسم بشخصية تاريخية معروفة وجدوا الكثيرين منهم، بينهم الطبيب، والأسقف، وأمين السر في مجمع خلقيدونيا وغيرهم[1]، وبقي ننُّوس (الديونيسي) غير معروف الهوية.

ستة وعشرون ألف بيت من الشعر، هي الأكثر انضباطاً والتزاماً بالقواعد، والأشد تألقاً بجمالية اللغة اليونانية، وسلاسة التراكيب[2].

ثمانية وأربعون نشيداً بالعدد، حيث توازي أعداد فصول الإلياذة والأوديسية مجتمعتين. فقد كانت تحدياً لهوميرس العظيم...! هكذا وصفها النقاد...

إنها بحق تحدٍّ للتراث الإغريقي الملحميّ، ومن داخل التراث ذاته، وبعبقرية متفوقة فيه من شاعر مجهول النسب.

* * *

حاول النقاد اكتشاف مثيل لها للمقارنة، فوصلوا إلى الهند، وقلّبوا «المهابهاراتا»[3] و«الرامايانا»، ولكنها بقيت هي المتفردة، وليس ما يقاربها. وقد وصفوها بأنها:

- تقليد للشعر الملحمي الهوميري، ولكنها ليست تقليداً لأحد.
- هي مخزن للميثولوجيا، لكنها سجل للمعارف والعلوم والفلسفة أيضاً.
- كانت الأقل شهرة في التراث الكلاسيكي، لكنها الأكثر استحقاقاً للشهرة والانتشار.

وينقل المترجم الفرنسي الأول لها «الكونت دي مرسلُس» رأياً بمؤلفها «لسباستيان كراموازيه»، مدير المطبعة الملكية في اللوفر، في القرن السابع عشر، هو:

«ليس هناك ما هو أغزر من كتاباته وأكثر رشاقة من إنشائه.

«كما ليس هناك ما هو أكثر سلاسة وانتظاماً من أسلوب خطاباته، فهي في منتهى السموّ والفخامة.

---

(1) *De Marcellus* (Le Comte), Nonnos, Les Dionysiaques ou Bacchus (Poëme en XLVIII Chants Grec et Français), p. VIII; éd. Librairie de Firmin Didot Frères, Paris1856.

(2) *De Marcellus*, p. LII.

(3) *De Marcellus*, p. L.

«إنه يساوي جلال هوميرس، وسمو بندار، وتماسك سوفوكل، وحكمة يوريبيد، وعذوبة كاليماخس، وتوشيات موزيه، وتناغم نيكاندر، وبساطة هزيود، وعقلانية ثيوغنس، وحنان أناكريون، وملوحة أرستوفان، وتهذيب مناندر. فالفلاسفة يجدون لديه عبقرية الطبيعة. إنه الشاعر الذي كان أفلاطون يبحث عنه، دون أن يجده (XVIII).»

* * *

ولد في مصر وتثقف في مكتبة الإسكندرية في نهاية القرن الرابع للميلاد. ولكنه لم يكتب عن مصر، بل حفظ المركز الأول لأرض لبنان، فكتب بعاطفة ومعرفة عن بيروت وصور[٤]، جاعلاً مركز الشرف في عالمه للأولى، ومُثبتاً نسباً إلهياً للثانية.

ومن حق أي قارئ أن يبحث له عن هوية ونسب بعد قراءته...

* * *

كان عصره عصر قلق في الإمبراطورية الرومانية، قبل أن تعمها المسيحية.

وكان الفكر الرومان يتطلع إلى منقذ ومخلّص. وشاء هو أن يكون ذا رسالة ويبحث للعالم عن منقذ، مخلّص، فانحنى على ما بين يديه من تراث...

كان الرومان يطلقون على الآلهة لقب «المخلص» إرثاً عن الإغريق. لكنهم انتقلوا بعدئذٍ باللقب إلى الرجال، فغدا من النادر أن نقرأ اسم إمبراطور أو قائد دون أن يقترن الاسم بلقب، مثل: الإلهي، أو المنقذ، أو المخلص، أو المتجلي. وكانوا يرون الحروب والانتصارات طريقاً للخلاص والإنقاذ. ولهذا كان مخلصهم هو الفاتح والمدمِّر، أو المستبد، تحت شعار البطولة.

وكانت المسيحية، تحت شعار «مملكة السلام»، قد انتشرت بين شعوب الدولة، فهال الرومان أن يكون المخلص جاءهم بالدعوة للسلام، فحاربوا الدعوى واضطهدوا أتباعها، ودعوا مثقفيهم لمعارضتها، حتى أن الإمبراطورة «جوليا دومنا» زوجة «سبتيموس سفيروس» دعت المؤرخ «فيلوستراتس» إلى كتابة سيرة حياة «أبولونيوس التياني» لمعارضة شخصية المسيح المسالم، في أوائل القرن الثالث للميلاد[٥].

لقد كان هناك فراغ في الذهن الحضاري يبحث عن ملء له. واتجهت الأنظار إلى الأبطال، وإن دون معجزات. وهنا برز دور للشاعر «نُنّوس»، فانصرف إلى إحياء قصص ديونيسوس، وليس كبطل حرب وفتوحات وحسب، وإنما كمعلم حضارة ومنشئ عمران، وموحد للعالم، حيث لا يكون فيه شرق وغرب وإغريق ورومان، يقابلهم برابرة.

ومن خلال عقيدته «الأورفية» الروحية التوجه والتعاليم، جنّد فتوّته ليجعل من ديونيسوس «القدموسي» من جديد رسالة حضارية، تجدد فتوة الإنسانية، دون أن يهمل أن هذه العبادة دخلت

---

(4) *Vian* (Francis), Nonnos de Panopolis, Les Dionysiaques, Texte Etablie et Traduit, p.X et XIV; éd. Les Belles Lettres, Paris 1976.

(5) *Philostratus*, The Life of Appolonius of Tyana, p. XIV; ed. (2 vol.) Harvard University Press, London 1960.

إلى بلاد الإغريق مع قدموس الفينيقي، حسب هيرودت (٢ : ٤٩). وتجددت مع حفيده ابن «سميله» (٢ : ١٤٥). فكان هذا بطل الشاعر «ننُّوس».

والرسالة الحضارية، كما يسجل بعضها ديودورس الصقلي (١ : ١٦، ١٧)، هي: أن يقوم مع جيش كبير بزيارة العالم المعروف لتعليم الناس كيف يغرسون العنب ويزرعون القمح والشعير، لاعتقاده بأنه، حين يعلم الناس كيف يتخلون عن الوحشية ويتبنون طريقة مهذبة للعيش، سيُعتبر ذلك إحساناً عظيماً، وسيكون له منه شرف خالد على مدى الأجيال.

وكما يذكر ديودورس، فإن ديونيسوس كان انطلق من مصر، بعد أن نظم مجاري النهر وجفف المستنقعات عند حدود «أثيوبيا»، فاجتاز البلاد العربية على شاطئ البحر الأحمر. وانتقل إلى الهند وحدود العالم المسكون، فأنشأ عدداً كبيراً من المدن وعلم الناس زراعة الكروم (١ : ١٩، ٥).

تبنى الشاعر هذه الرسالة الإنسانية، رابطاً إياها بمذهبه «الأورفي»، الشرقي التطلع والطقوس، متطلعاً إلى المصدر الذي نهل منه «أورفيوس» تعاليمه، فبلغ بها ما بلغه من مركز عال بين الإغريق، كما يشير إلى ذلك ديودورس الصقلي (١ : ٢٣، ٥).

وهكذا، وبموازاة مبادئ المسيحية التي كانت تنتشر في زمنه، وربما رغبة في معارضتها، راح يكتب ملحمته الكبرى، مسايراً بها التطلع الروماني إلى الإلهي والمنقذ، المخلّص، مسجلاً فيها جميع معارف زمنه الفلسفية والعلمية والاجتماعية. وهدفه الأسمى كان تبشيرياً حضارياً هو أرقى ما يتطلع إليه مصلح مبدع.

لقد كان أكثر من شاعر في مجموعته «الديونيزياك». اعتبر ذاته رسولاً وضع رسالته على لسان أبطاله. فنقرأ له على لسان «هرمس» الذي جاء خاطباً الفتاة «هرمونيا» لقدموس، حيث يقول عنه: «... بينما كان الخالدون في ضيق جاء هو الضيف (قدموس) لينقذ الجميع بكلامه العذب؛ فهو الإنسان الذي دافع عن الزوج (زوس) في محنته، ونشر في الأولمب (مجمع الآلهة) نهار الحرية.» (٣ : ٤٣٨).

ففي هذا النص جعل قدموس داعياً للإله الأعلى «زوس» في بلاد الإغريق، وحامياً له من الثائرين والمنافسين له. وهو ما لم يحصل إلاّ مع المسيحية والإسلام بالتبشير بإله أعلى، عالي الوجه ولا منافس له، وذلك بعد قدموس بأكثر من خمسة عشر قرناً.

ومن يطّلع على نص خطاب هرمس لوالدة هرمونيا يلاحظ أن الشاعر كان مطّلعاً على تعاليم المسيحية ونصوص الأناجيل، عند كتابته ملحمته. فهو يجعل هرمس في مقام الملاك جبرائيل، فيخاطب أم هرمونيا قائلاً: «يا أخت أمي، زوجة زوس، السلام لكِ! أنتِ سعيدة بين جميع النساء من أجل المستقبل لأن «الكرونيد» (الإله) يحفظ لأبنائك سيادة جميع الكون، ونسلك سيحكم جميع مدن الأرض...» (٣ : ٤٢٥).

وهذا النص يذكر بسلام البشارة على لسان الملاك جبرائيل، كما ورد في إنجيل لوقا (١ : ٢٨). وهذا ما لاحظه معلق حواشي الترجمة الفرنسية الحديثة للمجموعة، في طبعة «الآداب الجميلة» فرنسيس فيان.

* * *

يجعل الشاعر لأرض لبنان مقاماً مميزاً في ملحمته، عند ذكرها، أو ذكر أية مدينة من مدنها. ففي تهنئة لهرمونيا من والدتها تقول لها: «... أن يكون لكِ زوج فاتن، هكذا، هو ما لم يحصل لأية عذراء أُخرى! فبدون خلاف هو يحمل (في عروقه) دماء بلده «الأسيري»، حيث كان يسير أدونيس المليء بالنعمة: ولكي تكون لديه هذه الفتنة، لا بد من أن يكون هذا الشاب جاء من **لبنان**، حيث ترقص القيثيرية (أفروديت) (٤: ٧٨).

كما في تهنئة أُخرى للخطيبة يقول المهنئ: «... يا لها من جيرة، هي جيرة أدونيس! ويا لها من شراكة وطن مع نساء جبيل! لا، لقد أخطأت: إنكِ لم تري مجرى نهر أدونيس، ولم تبصري أرض جبيل، حيث يوجد مسكن «المنعّمات»! (٣: ١٠٦).

وفي الوقت ذاته يتحدث عن قدموس بجنسيتين، مصرية ولبنانية، حيث يشمل مقطع من ملحمته الجنسيتين معاً، حين يخاطب قدموس بالقول: «... هيا! لا تأسف كثيراً لوالدك ولمدينة صور؛ ابقَ في الأرض الغريبة، وأسِّس مدينة تحمل اسم موطنك «طيبة» في مصر.» (٤: ٣٠٣).

وفي مكان آخر يتحدث عنه كفينيقي أصيل، بقوله: «... إنه كملاح فينيقي بارع، وكما هو في وطنه، هكذا أدار سلطته.» (٤: ٢٣٢).

كما بمناسبة وضع أساس مدينة «طيبه» وتخطيطها في بلاد اليونان، يقول: «... وقد تزينت المدينة الأيونية بزينة من الحجارة، حسب فن مدينة صور.» (٥: ٥٦).

لقد عدد بإعجاب عطاءات قدموس لبلاد الإغريق. وكان كمن يفاخر بعطاءات الساميين وبفضلهم على حضارة الإغريق، ليس منذ قدموس وحده، بل منذ ما قبل قدموس، حيث يذكر «دناوس» وما قدمه للهلينيين من هدايا حضارية، منها حفره لبئر للماء، بمعول برونزي في أرض «أرغوس»، حيث أتاح لهم ذلك الإقامة في البلاد، مذكراً بأن قدموس تجاوزه بتقديمه هدايا موهوبة بالكلام والعقلانية، ثم بجمعه بين الحروف الساكنة والصوتية، وبرسمه لأشكال الحروف، التي كان قد تعلمها في وطنه، كعجائب لعلم إلهي (٤: ٢٥١-٢٦٥).

وبحماسة كبيرة للرسالة الحضارية التي أدتها العائلة القدموسية يرى أن «أغنور» هو مؤسس مدينة طيبه في مصر قبل انتقاله إلى أرض لبنان ومدينة صور، وأن له أخاً ثالثاً غير دناوس يُدعى «بيزا»، وهو الذي أسِّس مدينة «بيزنطية» (٣: ٣٦٧). وهذه الإشارة لم ترد عند غير «ننّوس» من مسجلي روايات الميثولوجيا. وربما كانت لا تزال دون تسجيل حتى زمنه (؟).

أمّا الإشارة إلى ازدواج جنسية قدموس، فهي قد تكون واقعة تاريخية، حين اعتبار خروج أغنور من مصر مع خروج الهكسوس الكنعانيين الذين كانوا يحكمونها في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد. وهذا الخروج يفسّر نشاط هجرة الكنعانيين إلى بلاد الإغريق آنذاك.

* * *

يتبنى الشاعر موضوع ديونيسوس حفيد قدموس من ابنته «سميله»، مذكراً بأنه يشبه ديونيسوس القديم (٥: ٥٦٤)، وأنه مثله ولدَ بإرادة من الإله زوس (عليون)، ليقوم برسالة إنقاذ وخلاص للإنسانية.

ولكنه، خلال التبشير والنشر لهذه الرسالة، يكتشف أن هناك طريقاً أخرى للإنقاذ والخلاص والتجدد الإنساني، غير طريق الأفراد والأعمال العسكرية أو البطولية، مهما كان شكلها. يكتشف ما في «بيروت» من رسالة حضارية، خلال مدرسة الحقوق فيها والتشريعات التي كانت تتعهدها هذه المدرسة[6]، فيرى فيها الخلاص، كل الخلاص للإنسانية. ويرى فيها الأساس الأرسخ لبناء السلام بين الشعوب.

كرّس ننُّوس ثلاثة فصول طوال لمدينة «بيروت الميمونه» كما لقبها. ورأى في هذه الفصول رؤيا خلاصية، تجاوز خلالها كل من سبقه إلى مثلها من الرائين؛ فكتب عنها يقول:

«ولدت الطفلة للنور بمساعدة القاضي «هرمس».
«استحمت بالرياح الأربع التي تنقلت في جميع المدن لتملأ الأرض بمبادئ بيروت.
«وكان «أوقيانوس» الرسول الأول لتشريعات الطفلة الوليد.
«... كان «الزمن» المعاصر له يلف الطفلة الوليد بيديه الدهريتين بثوب من العدالة، متنبئاً بالأشياء التي ستحدث.
«هو أراد التخلص من عبء العمر، كما تفعل الحية حين تتخلص من جلدها القشري الضعيف، وغير النافع، لتنمو فتوّته، حين الاستحمام بمياه الشرائع.» (٤١: ١٧٣)

وبيروته هذه التي رأى فيها تحقيقاً لرؤياه الخلاصيّة، المجدِّدة للزمن، كان وصفها بأنها: «أرومة الحياة، مرضعة المدن، مفخرة الأمراء، أولى المدن المنظورة، الأخت التوأم للزمن، المعاصرة للكون، كرسي هرمس، أرض العدالة، مدينة الشرائع، "عرزال" البهجة، منزل البافية (أفروديت)، معبد كل حب.» (٤١: ١٤٤)

رأى الخلاص خلال بيروت، المدينة التي وجدت لحماية جميع المدن.

وما كتبه عن بيروت كان يبحث عنه خلال رسالة ديونيسوس الحضارية، معتمداً على ما كتبه مؤرخو الميثولوجيا عن عراقة عائلة بطله في تحقيق هذه الرسالة الواسعة الانتشار، ولكنه، كما يبدو، اكتشف خلال عمله بطلاً جديداً للسلام، لا تتعارض رسالته مع ما يدعو هو إليه. فقد اكتشف المسيحية وربما انضوى إليها. ولم يكن ذلك تناقضاً أو ارتداداً أو تحولاً، بل كان لديه استمرار نضج والتزام واقع، نجده ملامساً له أو مقارباً في كل ما كتب وتخيّل. وقد نظم إنجيل يوحنا شعراً لانسجامه[7] مع ثقافته الإغريقية. بل نجده كاد يصل إلى النبوءة وادعائها في خياله الخصب، كما سيرى القارئ.

* * *

لم يرَ في مدينة صور وإنجازاتها الحضارية العظيمة أنموذجاً كافياً لمشروعه الخلاصي، ولهذا وبرغم الشهرة التاريخية التي اعترف بها لهذه المدينة العظيمة، لم يخصص لها سوى جزء من فصل

---

(6) *Nonnos*, Dionysiaca, trans. by W. H. D. Rouse, p. XVII; ed. Harvard University Press, London 1956.
(7) *Collart* (M. Paul), Nonnos de Panopolis, Etudes sur la Composition et le Texte des Dionysiaques, p. 5, 6; éd. Recherche d'Archéologie de Philologie et d'Histoire, Paris 1930.

في مجموعته. فهو مرّ فيها كمن كان يبحث عن نسب لبطله ديونيسوس. ولم يتوسع بالتغني برسالتها، مع أنه يكشف لنا عن معرفة تامة بإنجازاتها إلى حدٍّ أنه يذكر مصدر الأنسجة التي كانت تقوم مدينة صور بصباغتها، وماهية صبغة الأرجوان لديها، وكيف تم اكتشافها.

هو جاء، وبنيّته رؤية الأرض الصورية، بلد قدموس (٤٠ : ٣٠٠). وبرغم أن التاريخ لديه يسجل انطلاق ديونيسوس وقدموس من مصر، فهو أراد أن يثبت أن ديونيسوس هو ابن حفيدة أغنور، ملك صور، وأن قصر جده قدموس هو في هذه المدينة التي خطفت منها العمة «أوروبة» (٤٠ : ٣٥٥).

ونجد في النص وصفاً لقناة برك راس العين لا نجده عند غيره.

كما نجد وصفاً لمعبد هرقل في المدينة، مما يفيد مؤرخي الحضارة والأديان في زمنه. فهو، أي الشاعر، بمفهومه الأورفي لوحدة الألوهة والكون، دمج بين إله المعبد في صور والشمس، فوصف الإله باللابس للكواكب، الراعي الساهر على حياة الناس (٤٠ : ٣٧٠).

ثمّ يرى فيه مجموعة الآلهة التي يعرفها لدى الشعوب المختلفة. فهو: الشمس والبعل وآمون وأبيس وكرونوس وزوس وسيرابيس وفايتون والمترا وأبولو مجتمعين معاً (٤٠ : ٣٨٥).

لقد كان هذا هو المفهوم الأورفي للألوهة والكون، كما تذكره الأناشيد الأورفية. ولم يشأ الوقوف عند هذا المفهوم، دون ربطه بفكرة فلسفية، فأطلق على هذه الفكرة «الزواج» الذي أولده الحب في أحلام ليلية (٤٠ : ٤٠٥). ولم يقصد بذلك سوى حركة الحياة والعلاقة الدائمة المتناغمة بين الكائنات، وكأنه كان يشرح محبة «أنبدوكل» الفيلسوف الإغريقي.

يستعرض صناعة السفن، في مدينة صور، فتخاله نجاراً خبيراً يعرف كيف يمنع تسرّب الماء إلى السفن التي ينتجها (٤٠ : ٤٤٥). وهنا يتنبأ بسفن جديدة للبر (٤٠ : ٥١٠)...!!

ونقرا لديه أن ديونيسوس استمتع بطعام الآلهة (الأمبروزيا) في معبد المدينة، مما يعني أنه بدأ بالتحول إلى إله في هذه المدينة (٤٠ : ٤٢٠). كما هو لم ينسَ قصة «الفينيق» وتجدد الحياة بالنار (٤٠ : ٤٠٠)، فقد كانت فكرة التجدد هاجسه الدائم. ومن ثم انتقل إلى بيروت التي شاءها فتاة حيّة باسم «بيروي». وكان سانخونياتن قد سبقه إلى هذا التشخيص، عندما رأى أنها زوجة «عليون»، وهي من منطقة جبيل. ويرجح أن يكون النص الذي ترجمه فيلون الجبيلي في القرن الأول للميلاد كان بين يديه، وإن لم يُشر له.

يبدو وصفه لبيروت وصف مقيم، تجوّل طويلاً في المدينة، وعرف جغرافيتها وينابيع مائها، وعلاقتها بالروابي والجبال المحيطة بها.

يعطينا نظرية فلسفية عن الخلق ووجود الناس، حيث يشرح موضوع تركيب المادة والحياة من العناصر الأربعة، وكيفية تحوّل هذه العناصر إلى كائنات حية، وفق نظرية الروماني «لوكريشيوس». وذلك ليثبت قدم سكان بيروت وعلاقتهم الأزلية بأرضهم، وهو القول ذاته الذي قاله عن مدينة صور. وقد رأى أن مدينة بيروت نشأت قبل أية مدينة أُخرى مشهورة بالقدم، وهي التي استقبلت أفروديت الناشئة في البحر. وهنا عند ولادة بيروت، يصف تخيله للبهجة التي عمت الكائنات بولادتها، فتخيل أن الحيوانات المتوحشة غدت مسالمة وأليفة لبعضها، إلى حد أن الأشجار غدت تترنم

بأصوات، وذلك وفق رؤياه الخلاصية للعالم المرتبطة بولادة التشريع في بيروت (٤١: ١٨٦-٢٠٤).

ولم ينسَ هنا عداء الخنازير وشذوذهم وعدم مشاركتهم بالفرح، مما يرجّح لنا أنه من سلالة سامية كنعانية، تحرّم التعامل مع الخنازير.

ولم يشأ أن تكون رسالة بيروت منحة من أحد، فراى أنها حصلت على ذلك مكافأة حسب من الإله زوس ذاته الذي أوقف مبادئ العدالة لمدينة أفروديت، بلدة النبلاء «بيروت» وليس لغيرها (٤١: ٣٢٥)، وذلك من أجل ضمان الانسجام في العالم (٤١: ٣٢٢).

وهنا يعرض الشاعر معرفته بالكواكب، فتراه وكأنه عالم فلك مختص بها، بل نراه في أكثر من فرصة يذكرنا بمعرفته العملية للإفادة من مراقبة الكواكب، للسفر ولتنظيم المواسم، كفلاح حاذق في أحد الأرياف، يرصد الأفلاك لينظم، على إيقاعها، مواسمه. وقد نعجز عن إيجاد التسميات العربية لكواكبه ومجموعتها، فتركنا معظمها على اسمه اليوناني.

* * *

إنه موسوعة ثقافية بمعلوماته. فهو لم يفته شيء، سواء عمن وضع قوانين وأنظمة، أم عمن ابتكر آلات وألحاناً موسيقية، وحتى أنه يكشف تفاصيل لم ترد عند غيره. ومنها أننا كنا نتساءل عن التعديلات التي نسبت لقدموس في استعماله الأبجدية الفينيقية للكتابة اليونانية، فأوضح «ننُّوس» أنه أدخل الحرف الصوتي إلى الحرف الساكن. وهذه الإشارة الهامة جداً في تطور الكتابة، لم أقرأها عند غيره. وكنا نعتبر الموضوع تطويراً يونانياً صافياً (٤١: ٣٨٢).

ومع هذه الدّقة باستخدام المعرفة في الشعر، نقرأ لديه صوراً شعرية متميزة، حيث نقرأ، مثلاً، على لسان أفروديت وصفاً لمنظر جبال لبنان، قرب بيروت؛ فتقول فيه: «سأزرع السماء على الأرض قرب البحر الذي هو أمّي.» (٤١: ٤١٦)

وينتقل عند نهاية هذا الفصل عن بيروت إلى موضوع آخر يخص المدينة، وهو موضوع اجتماعي سياسي، تفرضه جغرافية المدينة وموقعها الحضاري، ليس في زمنه وحسب، بل في كل زمن. فهي موضوع صراع بين البر والبحر، تتشابك مصالح أبنائها وعلاقاتهم وثقافاتهم مع أبناء البحر، كما مع أبناء البر. ولعله يحسم هذا الصراع المتكافئ، فنجده يمثله بقتال رمزي بين قوى الجانبين، لا يتغلب فيه فريق على آخر، وإنما يُحسم بتدخل إلهي، هو أقرب إلى سلطة القدر، دون تبرير وشرح. والشرط هو أن يكون البر والبحر سواء، في حال الهزيمة أم في حال الربح، أن يكونا وفيين، محبين للمدينة العظيمة.

* * *

لقد جاء بوزيدون من البحر بجوار بيروت، بينما ديونيسوس (باخوس) جاء من أرض مدينة صور، من بين جبال لبنان، كما يقول: «ورماهما إله الحب «إيروس» بسهم واحد مزدوج، فألهب فيهما حرقة الحب لبيروي (بيروت)، وراح الاثنان يتنافسان بتقديم الهدايا للحورية العذراء.» (٤٢: ٢٥).

وفي وصفه للواعج الحب وعذابه لدى ديونيسوس، نجده يتفوق على جميع من كتب ونظم في هذا المجال، فتخاله المعلم الأكبر لشعراء الحب العذري لدى العرب، وللرومانسيين الأوروبيين. ولا أنسى صورة يشبه بها البطل الذي تغلّب في جميع المعارك بثورٍ فحلٍ لَسعته ذبابة الربيع (القاقوبة)، فغدا هائجاً، يطعن الهواء بقرنيه، بعد أن لَسعهُ الحب لفتاة بريئة لم تكترث له (٤٢ : ١٨٥).

أمّا دروس التعامل مع المحبوبة فلم أقرأ عند غيره مثيلاً لها، وهو يجعل بطله يتلقاها بصبر من الإله «بان»، صريع الهوى مثله. وهذا المقطع من الفصل يستحق أن يكون له عنوان خاص به هو «درس في الحب» (٤٢ : ٢٠٢).

وكم كان متفوقاً على ذاته عندما جعل البطل يجبن عن مصارحة حبيبته «بيروي» بحبه ورغبته فيها؛ فيصرخ: «إني فلاح في لبنان الذي يخصك... سأسقي لك أرضك وأعتني بقمحك...» (٤٢ : ٢٧٩).

يتدافع وصف حالات الحب والشوق على قلمه، كسيل هادئ لحالة نفسية، لا يدركها إلاّ من عانى منها وعاش في لفحاتها، خلال عنفوان فتوّته، وفي أتون عواطفه. وهذا ما يثبت أن الشاعر كتب فصول بيروت، بوجه خاص، في فتوّته الباكرة، فرسم عواطفه وانفعالاته العميقة وتجاربه الشخصية في الحب. ولعله كان ملفوحاً بناره فأجاد وصفه...!!

حافظ على سموّ عاطفة الحب، ولم يصف العلاقة الجنسية بغير تكنيتها بربطة حزام الفتاة، مذكّراً المحبين بأن هناك فتيات كثيرات ينفرن من العلاقة هذه، ويملن إلى الحفاظ على عذريتهن. ولهذا التذكير يستخدم شهرة بعض إلاهات الميثولوجيا بالحفاظ على عذريتهن.

ويختم هذا الفصل بخشية والدة بيروي من أن يكون جمال ابنتها سبباً لتدمير مدينتها بيروت.

وكأنه كان يرى الرؤيا وما حل ببيروت الجميلة سنة ١٩٧٥... ...

* * *

خصص النشيد الثالث والأربعين للحرب بين الأمواج والكروم، كما يقول.

ويبدو أنه أراد معارضة هوميرس خلال هذا النشيد، فاستعار الكثير منه، ولكنه بقي أصيلاً، دقيق الوصف للمعارك، متفرداً بحقول لم يطرقها هوميرس. الحرب بين البحر والبر كانت من أجل الوصول إلى الميمونه «ملكة لبنان»، كما يذكرها (٤٣ : ١٠٥). أمّا ما يدعم بيروت في البر فهو الكرمة، مضافة إلى الزيتون (٤٣ : ١٢٦). وما يدعم البحر هو كل البحار والمياه...

ويكاد يصل إلى نبوءة هامة حول مستقبل المدينة، حين يقول على لسان البطل ديونيسوس: «... سأجعل المدينة ذات شكل آخر. لن أتركها قرب البحر، بل سأمهد التلال الوعرة بسلاحي، وسأردم البحر الأزرق العميق، قرب «بسيريتس»، جاعلاً المياه أرضاً يابسة، ذات حجارة وصخور. وسأمهد الطرق البرية، فأجعلها مستوية بالحربة الحادة.» (٤٣ : ١٢٨).

لم أقرأ رؤيا لدى شاعر بلغت هذا المستوى من التحقق، بعد ستة عشر قرناً من الزمن. بل لم يكن بالإمكان ردم البحر الذي وصفه قبل نهاية القرن العشرين والوصول إلى عصر الآلات الذي نحن فيه، زمن «سوليدير»...

فيا لها من رؤى مستقبلية كانت لدى هذا المبدع، المرهف الحس والتطلع!

كان يكتب الأساطير وكأنها لطبقة معينة من القراء، هي طبقة كبار المثقفين في العهد الكلاسيكي، حتى أننا لا نقرأ إشارة أو صفة لديه إلاّ ولها وجود وقصة مرتبطة بمن أو بما يذكره. ولذا نجده ملتزماً التزاماً تاماً بالروايات الأسطورية، مما يجعلنا نعتقد أنه لم يرو قصصاً من عنده، وإنما ما ذكره، ولم يذكره غيره، كان من روايات شعبية، سجلها وحده تسجيلاً أميناً ولم يبتكرها من عنده.

وعند وصفه لالتقاء تيارات البحار المختلفة، تخاله عالم بحار خصص كل وقته لدراسة هذه التيارات (٤٣: ٢٩٢).

وكذلك لنقل عن معلوماته الجغرافية، فهذه لديه لا تكون إلاّ وصف مشاهد باحث، يزور المواقع قبل أن يكتب عنها.

أمّا خاتمة نشيد بيروت الميمونه، فقد جعلها خاتمة فلسفية، لا تنهي قصة حب، كما يفعل الكتاب والشعراء، حيث تكون النهاية مأساوية أو فرحة لقاء، بين حبيبين، إنما شاءها منطقية، تتم بتدخل قوة عظمى، فتوقف الصراع، وكأنها تؤجله. وقد عبر عن ذلك بكلمة هي أجدر بأن تكون لسياسي معروك، حين وصف الحالة بأنها «سلام ثقيل» (٤٣: ٣٨٠).

وهكذا يتخلى ديونيسوس عن بيروت ليبحث عن غيرها بعد خضوعه لإرادة الإله الأقوى والأكبر «زوس»: «وبعد الاحتفال بعرس «بيروي» في البحر، غدا عريسها، مزلزل الأرض، صديقاً لأرض وطنها.» (٤٣: ٣٩٥).

خلاصة رؤيا

آمن الشاعر الملحمي «ننُّوس» برسالة بيروت العالمية، ورأى في تشريعاتها الحقوقية، في العهد الروماني، نافذة خلاص للإنسانية توصل إلى السلام وتحمي حقوق الإنسان، «مدينة واحدة من أجل جميع مدن العالم.» (٤١: ٤٠٠).

واستمراراً لهذه الرؤيا المستقبلية لمدينة بيروت نلفت إلى أنها اليوم، في نهاية القرن العشرين، تمثل مسرحاً متقدماً لممارسة حقوق الإنسان، خلال الاعتراف الرسمي بالحقوق الخاصة لثماني عشرة طائفة من أبنائها كخطوة أولى.

ونأمل بأن تستطيع بيروت تقديم أبجدية جديدة لحق الحياة والمشاركة في المجتمع، لكل إنسان، مهما اختلف عن جيرانه بالعِرق أو بالدِين أو باللغة أو بالتاريخ...

لقد آن للتشريع أن يحمي الضعفاء والمظلومين ويحفظ دماء الأبرياء...

د. يوسف الحوراني
بيروت – ١٩٩٩/٤/٨

ديونيسوس المنقذ

يميز الفيلسوف الألماني «نيتشيه» بين شخصيتين تعبّد لهما الإغريق وأكمل واحدهما الآخر، وهما: أبولو وديونيسوس. وقد رأى أن أبولو استحوذ على خواص الحكمة العقلانية الفكرية، مع التأمل لدى الإنسان، بينما اختص ديونيسوس بالنزوع الديني والغيبي العاطفي.

ومن هذا المنطلق اعتبر بعض المفكرين الغربيين أن الحضارة الغربية المعاصرة تنتمي لأبولو، دون ديونيسوس، وهي استوحت منه مسيرتها الحضارية. وفي تعريف ديونيسوس يرى معظم الدارسين لشخصيته أنه يختلف بين مفهوم شعب وآخر، ولكنه دائماً كان له تأثير ديني عميق في الحياة الاجتماعية لدى اليونان والرومان بعدهم. وقد تبنّاه الرومان باسم «باخوس» إله الخمر، وكانت تقام له احتفالات سنوية على اسمه هذا. كما كان يعتبر ذا وجود إلهي في قوى الطبيعة المنتجة للكروم بوجه خاص. وكانت تقام على شرفه طقوس «الأورجي» الصاخبة، تحت تأثير الخمر، وفيها الرقص والموسيقى.

وفي العهد الهلينستي، بعد الإسكندر، اتسعت عبادته وانتشرت في كل مكان وصلته الحضارة الإغريقية في الشرق، وذلك بعناية خاصة من الملوك الهلنستيين الذين رأوا في طقوسه جاذباً للشعوب المختلفة.

ونلتقي بديونيسوس في العهد الهلنستي عندما حاول «انطيوخس إبيفانس» فرض طقوسه وشعاراته على اليهود، كما يذكر ذلك سفر المكابيين الثاني (٦ :٧). وأبرز هذه الشعارات كان وضع عسلوج الكرمة على الرأس خلال الاحتفالات بأعياده.

كما قام «نيكانور» بمداهمة المصلين في المعبد، وهددهم بأنه سيهدم المعبد ويقيم مكانه معبداً فخماً لديونيسوس (سفر المكابيين الثاني ١٤ :٣٣).

وكما يخبرنا «بوليبيوس» كانت تقام مسابقات فنية وموسيقية جماعية على شرفه في بلاد الإغريق (٤ :٢٠). كما كان له مسرح هام في مدينة الإسكندرية (١٥ :٣٠).

ذكره هوميرس في الإلياذة خلال واقعة صراع له مع «ليكورغس» الذي كان يحارب طقوسه (٦ :١٣٢–١٣٧). ويعتقد هيرودت المؤرخ أن طقوس ديونيسوس الأولى دخلت مع قدموس إلى بلاد الإغريق، حيث علمها هو وأتباعه لسكان منطقة «بويتيا» (٢ :٥٠). كما يعتقد أنه هو ذاته المعروف باسم «أوزيرس» في مصر. ويرى أيضاً أن ولادة ديونيسوس ابن «سميله» ابنة قدموس كانت قبل زمنه بألف وستمائة عام (٢ :١٤٥). وهذا التقدير يزيد عن التقدير المألوف لزمن قدموس بما يقارب ستمائة عام.

كما يذكر المؤرخ ذاته أن العرب كانوا يبرمون معاهداتهم باسم ديونيسوس واسم السماء (أورانيا) (۳: ۱۰ و۱۱). وكانت له بينهم طقوس ومعتقدات دينية (۳: ۱۱۳). وقد ذكر «أريان» مؤرخ حياة الإسكندر، تعبّد العرب لديونيسوس وللسماء في منطقة الخليج، مشدداً على أنهما كانا الإلهين الوحيدين لديهم، وأن الإسكندر كان يريد السير على خطى ديونيسوس في غزواته لبلاد الهند (۷: ۱۹).

ويسجل هزيود في كتابه «مولد الآلهة» أن «سميله» ابنة قدموس حملت من الإله زوس وولدت ابناً لامعاً، إلهاً، هو ديونيسوس السعيد، ومع أنها ليست خالدة، فقد بلغت صفوف الالوهة هي وابنها.» (۹٤۲).

وكان أبرز من كتب عن ديونيسوس في القرن الخامس قبل الميلاد، الشاعر الإغريقي «يوريبدس» في مطلع مسرحيته «الباخوسيات». فهو في مدخل المسرحية جعل ديونيسوس يتحدث عن نفسه، فيقول: «إني جئت إلى هنا، إلى بلدة الطيبيين، أنا ابن زوس، ديونيسوس الذي ولدته ابنة قدموس «سميله» على يد الصاعقة المسلحة بالبروق... رأيت قبر أمي المصعوقة، هنا، قرب القصر، والدخان يتصاعد من خرائب منزلها، واللهب مشتعل دائم من النار الإلهية... وإني أبارك قدموس لجعله المكان محمياً، لا يدخله أحد، مكرساً لابنته. وهو محاط بكرمة أعتني أنا بها، وهي تستره بخضرتها المثقلة بالعناقيد... «طيبه» هي المدينة الأولى في هذه الأرض الإغريقية، نهضت تصرخ في وجهي، حيث إني كسوت أجساد «الباخوسيات» بجلود الظباء، ووضعت في أيديهن «الطيرزي»، هذه الحربة الملفوفة بالعساليج، لأن أخوات أمي — ويا للعجب! لماذا هنَّ؟ — كن يعلنَّ أن ديونيسوس ليس ابن زوس، بل إن سميله تعرضت لإغواء إنسان من الفانين وألقت على زوس تبعة خطيئتها في الحب، وذلك بابتكار عبقري من قدموس. ولهذا السبب قتلها زوس، ناشرين القول بأن زواجها ليس سوى أكاذيب.

«أنا، قد طردتهن من القصر، مسلطاً عليهن ذبابة الجنون، وهن يُقمن في الجبل مصابات بالهذيان، كما أجبرتهن على حمل شعائر طقوس «الأورجي» مع جميع جنس الإناث، جميع نساء «قدميا» جعلتهن مجنونات، شاردات، بعيداً عن منازلهن. وهن مع بنات قدموس يعشن بدون مأوى، تحت أشجار الصنوبر، بين الصخور...»

ويأخذ المؤرخ «ديودورس الصقلي» بقول يوربيدس أن «سميله» حملت سفاحاً بديونيسوس من رجل مجهول (۱: ۲۲). وهو يرى أن اسمه هو «ديونيسا»، أي إله منطقة «نيسا». وهو يذكر أن الكتّاب الإغريق القدماء للميثولوجيا كانوا يطلقون على أوزيريس اسم ديونيسوس (۱: ۱۱).

ويسجل ديودورس بعض الأساطير المنسوبة لديونيسوس واختلافها بين كاتب وآخر مما يشير إلى أنه كان بطلاً شعبياً له طقوس عبادة. وأهم هذه الأساطير تقول أنه ولد من فخذ زوس (۳: ٦۲)، مما يجعل بطلنا بطل أسطورة عربية أساء الإغريق فهمها، إذ إن العرب يقسمون القبائل إلى عشائر وبطون وأفخاذ، فيحافظون على روايات أنسابهم بهذا التقسيم. ويكون الفخذ هو الفرع أو الحي من القبيلة، المتسلسل من جد واحد. وقد أخطأ الإغريق بفهم هذا الاصطلاح الاجتماعي العربي، ففسروا كلمة «فخذ» تفسيراً مادياً.

وفي رواية عن ديونيسوس أنه علّم الناس زراعة الكرمة والزيتون والتين، وصناعة الخمر، كما قاد جيشاً غزا به جميع بلاد العالم المسكون، وعلّم الناس الطقوس «الباخوسية»، وأشرك الناس معه بإبداعاته (٣:٦٣). ويرسمه الرسامون والنحاتون وله قرنان (٣:٦٤). ومن هنا، كما نرى، نشأت صفة «ذي القرنين» التي وصف العرب بها الإسكندر. ولكون الاسم يطلق على أكثر من بطل تاريخي، نعتبر أن ابن سميله، وهو ديونيسوس الثالث، كما يرى ديودورس (٣:٦٤، ٣) ليس سوى بطل كان يحارب من كانوا يقاومون عبادة ديونيسوس وطقوسه في طيبه، لكونها من تراث الساميين الذي أدخله قدموس إلى تلك البلاد كما ذكرنا. وكانت هذه الطقوس تقوم على الموسيقى والدعوة للسلام والحرية.

أمّا آثاره في الجزيرة العربية فنجدها في تسمية «ذي نواس» التي أطلقها أبناء اليمن على القائد الحبشي «فنحاس» أو «دميان» أو «مسروق»، كما يرى الاسم جواد علي في المجلد الثالث (ص ٤٦٩) من موسوعته «تاريخ العرب قبل الإسلام». كما نقلوا صفة «ذي القرنين» إلى الإسكندر الذي كان يحاول التشبه بديونيسوس، كما يقول «أريان»، كي يحظى بتأييد العرب له.

ويلفتنا هنا أغنية «آويها» التي يتكرر ذكرها على لسان الباخوسيات تابعات ديونيسوس، فهذه الأغنية، المديح، يذكر أحد نصوصها «يوربيدس» في مناسبة تتفق تماماً مع المناسبات التي نطلقها في قرى لبنان.

فنحن نقرأ مباشرة بعد تقديم ديونيسوس نفسه في مسرحية «الباخوسيات» أن الجوقة تصرخ «آويها» على شرفه، وذلك تأييداً وتعظيماً له. وهذا ما يحدث غالباً في أعراس القرى لدينا لتمجيد العريس أو لتعظيم أحد الحضور من الزعماء أو الوجهاء.

كما يذكر الشاعر نص «الأويها» مثبتاً فيها الأصل اللبناني لهذه الأغنية. وإثباته هذا ينفي أية فرضية تعتبر هذا اللون من الغناء دخيلاً على أرض لبنان. والنص هو التالي:

آويها، الأرض سالت باللبن.
(آويها)، الأرض سالت بالخمر.
(آويها)، سالت بعسل النحل.
(آويها)، يقولون عبق منها بخور لبنان. (رقم ١٤٢)

وهنا نحن نضيف تكرار كلمة «آويها» بين قوسين فقط للمقارنة بين ما سجله يوربيدس قبل خمسة وعشرين قرناً وما هو عندنا من تكرار للكلمة في أيامنا.

وقد استعمل «ننُّوس» لحن «الآويها» لتمجيد قدموس في الظرف ذاته خلال ملحمته في النشيد الرابع (رقم ٢٧٠).

كتب الشاعر يوربيدس مسرحية «الباخوسيات» ليدلل على أن الإنسان بحاجة إلى أمور غير العقل في حياته، وأن أقرب الناس إلى ما هو غير عقلي هن النساء، حيث تجذبهن الطقوس السرية والأمور العاطفية، فيتحررن من ضوابط العقل والمنطق وينقدن إلى نوازع العاطفة، وإن لم يكن ذلك في حياتهن اليومية العادية، فتحت تأثير الخمر وفي احتفالات أعياد ديونيسوس، حيث ينصرفن إلى الرقص والصراخ وممارسة طبائع متوحشة، كامنة لديهن، باعتقاد أن الإله يدخل إلى داخلهن، كما

يذكر «كاليستراتس» في «التخيلات» حول «تمثال الباخوسية»[8].

ويصور يوربيدس لوحة من هذه الحالة الجنونيــة عندمـا تقـوم «أغافيـه» والـدة «بنثيـوس» ملـك «طيبه» بتمزيق ابنها مع رفيقاتها، وجعله أشلاء لمقاومته طقوس ديونيسوس ورفضه الإيمـان بـه، وقـد حملت رأس ابنها لظنها أنه رأس أسد قمن باصطياده. ثـم عـادت إلى وعيهـا بعـد أن نبههـا والدهـا قدموس إلى ما ارتكبت (رقم ١٢٧٩). وتكشف المسرحية أن الباخوسيات، تابعــات ديونيسـوس، كـنَّ اصطحبنّه من آسيا. وقد استعانت «أغافيه» بهن في عملية القضاء على ابنها (١١٦٥).

ولم تكن حركة الباخوسيات فريـدة في الـتراث الإغريقـي. فهنـاك عـدد مـن الإشـارات لـدى المؤرخين الإغريق إلى عمليات تمرد للنساء، اتفق الجميع على اعتبارها جنوناً جماعياً. وهــي تسـتحق الدراسة بمنطق حديث عند اعتبارها عملية تمرد أو ثـورة نسـائية. فقـد ذكـر هـيرودت عمليـة جنـون جماعي لدى نساء «أرغوس» وكيف أن العرّاف «ميلامبوس» طـالب بنصـف المملكـة مقـابل معـالجتهن (٩ : ٣٤). وكرر القصة ذاتهـا ديـودورس الصقلـي (٤ : ٦٨). وكذلـك كتـب «ابولـودورس» عـن بنـات «برويتس» وعزا جنونهن لرفضهن ممارسة طقوس ديونيسوس (٢ : ٢، ١). وكرر أوفيد ذكر هذه الحالـة (١٥ : ٣٢٨).

ويذكر بوزانياس جنون نساء «أرغوس» وشرودهن جميعاً إلى الجبال (٢ : ١٨، ٤).

كما يذكر القزويني ظاهرة مماثلة ينقلها عن الشيخ عمر التسـليمي المتصـوف، فيقـول في كتابـه «آثار البلاد وأخبار العباد»: «أن في «بلد باشاي» من أعمــال الموصـل يحـدث أن تهتـاج شـهوة الوقـاع بالنساء في وقت معين من السنة، فيخرجن إلى وادٍ قريب لغلبة الشهوة. ولا قدرة للرجال علــى قضـاء أوطارهن، فيكن بالوادي كالسنانير عند هيجانها إلى أن تنقضي مدتهن، فيعدن إلى بيوتهن، وقد عـاد إليهن التمييز. وذلك يتكرر كل سنة[9].»

---

[8] *Philostratus*, Imagines, (Callistratus Descriptions), No. 2, p. 381, trans. By A. Fairbanks; ed. LOEB. Classical, London 1960.

[9] القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٣٦، منشورات دار بيروت ١٩٧٩.

ملاحظة

- نبه الشاعر «ننّوس» في مطلع مجموعته الشعرية «الديونيزياكا» إلى أنه يكتب بتحوُّلات تصل إلى مئة وجه، يختلف الواحد منها عن الآخر (١٤:١).
وهكذا تكون الفصول الثلاثة التي كتبها عن بيروت مستقلة وذات وجه خاص في مجموعته الضخمة، ولا علاقة لها بالفصول الأخرى. وهذا ما افترضه بعض دارسيه خلال تحليلاتهم[١٠].

- يوجد من الديونيزياكا عدد من النسخ باللغة اليونانية الأصلية، لا تختلف إحداها عن الأخرى إلاّ باختلاف أخطاء النسّاخ وسقطات السهو، وهي قليلة لا تأثير لها على النص الأصلي. المجموعة مترجمة إلى معظم اللغات الأوروبية، ولها أكثر من ترجمة في بعض الأحيان. ولهذا استعنا بأكثر من ترجمة لها في اللغتين الفرنسية والإنكليزية. وحين الالتباس أو الشك بالمعنى كنا نعود للأصل اليوناني للتحقق من المطلوب.

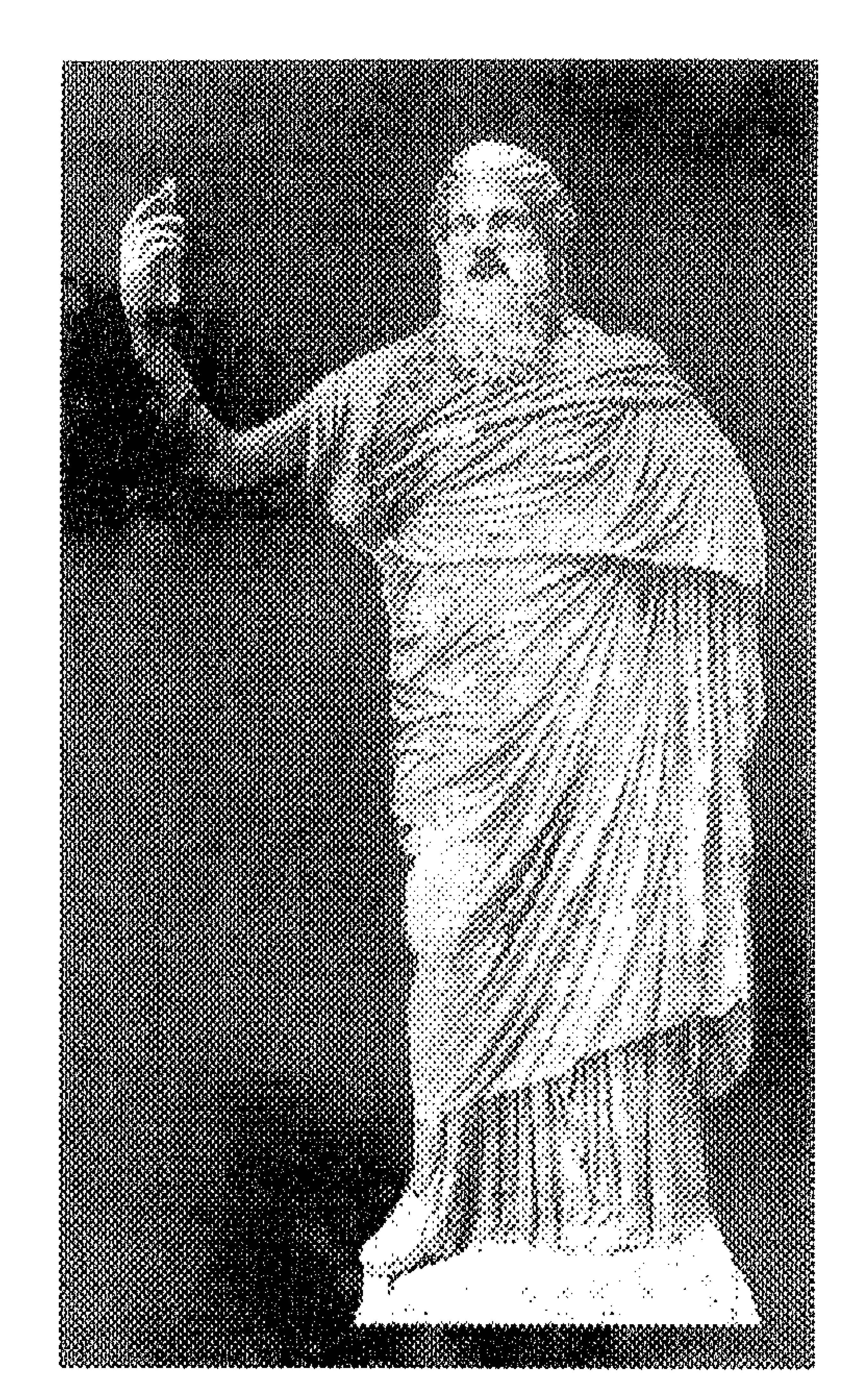
- اعتمدنا في وضع الشروح والحواشي للميثولوجيا على المراجع الكلاسيكية المباشرة المعتمدة في هذا الموضوع، مع الحرص على تعيين أرقام المرجع، بحيث غدت الحواشي معجماً ميثولوجياً بذاتها. وأوردنا الأسماء بالحرف اللاتيني ليستطيع القارئ التوسع بها إذا شاء، في أية لغة يشاء.

- حرصنا على ترك أرقام الفصول كما هي في المجموعة، بينما أرقام الأسطر جاءت تقريبية، بسبب الاختلاف بين أسطر الشعر وأسطر النثر، وهو اختلاف يسهل تجاوزه لمن يريد الرجوع إلى النص في لغات أخرى.

- استعملنا المزدوجات حول الاسم لإبرازه للمرة الأولى أو حين الالتباس فقط.

---

(10) *Vian* (Francis); ed. cit. p. XXIX.



ديونيسوس القائد

من منحوتات مدرسة براكستل




مارس إله الحرب

(متحف الكابيتولينوس)



بوزيدون المحارب

على نقود فضية من «خالقيس»



الملحمة مصدر وحي للفنان نقولا بوسان
احتفال للباخوسيات

بيروت الميمونه[١]

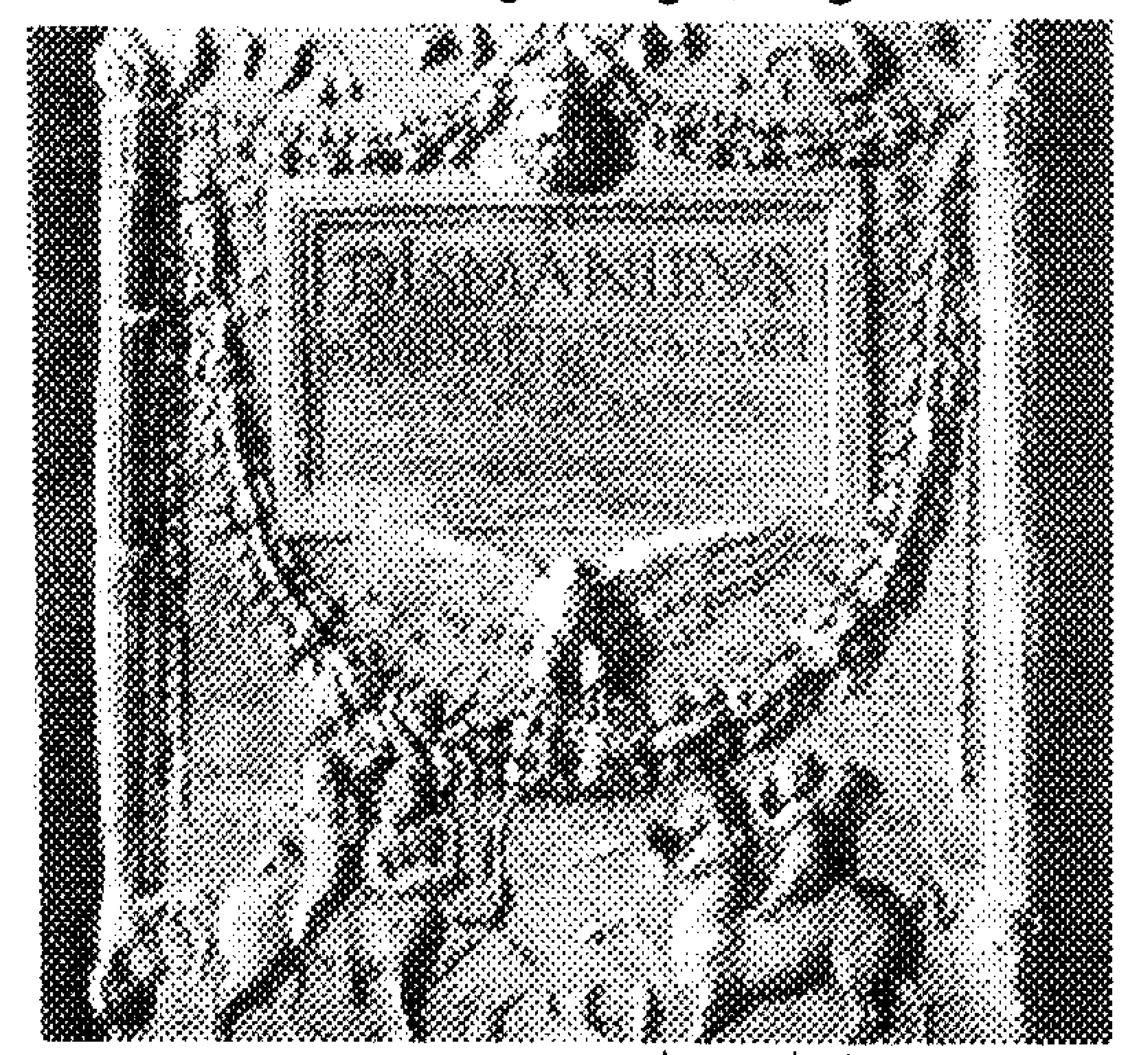
يذكر الفصل الواحد والأربعون كيف حملت
أفروديت بميمونه، قبرصية أخرى لابن مرّة.[٢]

— ٤١ —


ديونيسوس
من آثار مدينة صور القرن الثاني للميلاد

كان قد غرس في الأرض كعوب كرمته المجيدة، في سفوح جبال لبنان الشامخة، فأسكر بثمارها حنايا السهول الخصبة.

على مرأى من بيت عرس «البافية»[٣] جعل من عرائش العنب غابة كثيفة، وقدم هدية الخمر لأدونيس والقيثيرية.[٤]


شاهد قبر يمثل الرموز الديونيزية
النسر للخلود وإيروس يمتطي القنطور

(١) Amymone ورد هذا الاسم في التراث الإغريقي لابنة جد الدانيين الكنعاني، المهاجر إلى أرغوس (دناوس). ويبدو أن الحرف الأول منه هو «ال» التعريف الكنعانية «ها». ولذلك فضلنا ترجمته «الميمونه»، أي المباركة. وتروي القصة أن دناوس لجأ إلى أرغوس مع بناته الخمسين، هرباً من أخيه وأبنائه الخمسين أيضاً. وقد استولى على العرش هناك بعد نزاع مع «غلنور» من بيت «أغنور»، كما يقول النص لدى بوزانياس (١٦:٢، ١٢ و١٩، ٣ و١٧، ١). وهذه أقدم إشارة إلى مجموعة كنعانية هاجرت إلى بلاد الإغريق. وهي قبل قدموس.

وحسب رواية أبولودورس، أن أميمونه، ابنة دناوس، كانت تبحث عن المياه في الغابة. وقد رمت بسهم ظبياً، فأصابت «ساطيرا» متوحشاً وأيقظته، فلحق بها لاغتصابها، وعندئذ أنقذها الإله «بوزيدون» ودلها إلى ينابيع «ليرنا»، (١:٢، ٤) ويوربيدس (الفينيقيات ١٨٧) وسترابو (٨:٨٦) وقد تسمى الينبوع باسمها.

ويذكر أبولونيوس رودس أن لأميمونه ابناً يدعى «نوبليوس» من بوزيدون، وهو أشهر بحار في زمنه (١:١٣٨)، وبوزانياس (٢:٣٨، ٢). كما ذكر أن حيّة ضخمة كانت تقيم قرب النهر المسمى باسمها، وقد قتلها هرقل (٥:١٧، ١١).

(٢) Myrrha سجل الشاعر أوفيد رواية «مرّه» ووالدها «كنيراس» ملك جبيل وقبرص (سترابو ١٦:٢، ١٨ و١:٢، ٣٢). ورواية أوفيد، أن مرّه عشقت والدها كنيراس، وعرفت أن ذلك جريمة أخلاقية، فحاولت شنق نفسها. ولكن تدخل مربيتها العجوز أوقفها. وعندما اعترفت لها بالسبب ساعدتها على تحقيق رغبتها الشاذة، مغتنمة وجود الوالد في حالة سكر شديد. وقد دخلت الفتاة إلى مخدع والدها على نعيب بومة قرية. ثمّ كررت فعلتها عدة ليال إلى أن شاء الوالد أن يتعرّف المرأة التي تضاجعه، فخبأ مشعلاً تحت السرير، وما أن جاءت إليه حتى أشعل النور واكتشف فعلته، فاستل سيفه ولحق بابنته ليقتلها، لكنها اختفت في الظلمة، وشردت في البرية طوال تسعة أشهر وهي حامل، فحولتها الآلهة إلى شجرة «مر».

وقد ولدت أدونيس الذي بجماله أغرى أفروديت الإلاهة انتقاماً لأمه، فهجرت أفروديت السماء والمدن المألوفة لأجله، وراحت ترافقه في الغابات، إلى أن قتله خنزير بري، حاول اصطياده (١٠:٢٩٥-٥٢٥).

وعند تعريف الشاعر بأن ميمونه هي «قبرصية» أخرى يشير إلى شهرة أفروديت بالقبرصية وأن أدونيس اللبناني غدت له حبيبة أخرى هي مدينة بيروت (راجع حاشية ٥١).

(٣) Paphia مدينة «بافوس» في قبرص تنسب إليها أفروديت. وهكذا تكون مشهورة باسم القبرصية والبافية والقيثيرية، نسبة إلى جزيرة «قيثيرا». والقصة كما يرويها هزيود الشاعر أن الإله «كرونوس» قطع بمنجل أعضاء والده أورانوس الجنسية وألقاها في البحر. فبقيت هذه فوق الموج، وقد التف حولها الزبد، حيث نشأت فتاة من اللقاح، داخل الموج، فصعدت هذه في البدء إلى جزيرة «قيثيرا» الصغيرة المقدسة، ثم انتقلت إلى قبرص، فعرفها الناس هناك بكنية «ابنة الزبد» (أفروديت). وغدا رفيقها الإله «إيروس»، إله الشهوة الجنسية (مولد الآلهة ١٨٨-٢٠٦). وقد أنشئ لها معبد في مدينة بافوس في زمن «كنيراس» الملك، وبقي الكهنوت فيه وقفاً على سلالته حتى العهد الروماني كما يذكر ذلك المؤرخ تاسيت (٢:٢).

(٤) Cytherea القيثيرية هو لقب أفروديت (ح ٣).

هناك مجموعة من «المنعَّمـات»[٥]،
حيث تسدل الكروم غلالتهـا في وجـه
الغابـة الصنوبريـة العظيمـة، متسلّقة
نحوها لمعانقتها.
– اقـتربن يـا حوريـات لبنـان،
عرائس الشعر، في السـهل المجـاور
لبيروي[٦]، وصيفة الشرائع!
– أنشدن لنا نشيد ميمونه، حرب
كرونيـــدس في الأعمــــاق مــــع
«لايايُس»[٧]: صراع الأمـواج، وهيـاج
الخمر.
إنها مدينة «بيروي»، سحر حيـاة
الإنسان، مرفأ كـل حـب، الراسخة
فـوق البحـر، ذات الجـزر الرائعـة[٨]
والخضرة المرعة.
إنها جسر ضيق لـرأس مستطيل،
حيث العنـق المرتفع بـين بحريـن
تضربه الأمواج من جانبيه.
تمتد من أحـد الجوانـب، منتشرة
تحت جسر كثيف من غابـات لبنـان
«الأسّـيري»[٩] في الشـرق المتوهّـج،
حيث يهب على سكانها نسيم منعش
للحياة، يوشوش عاليـاً، وهـو يحـرك
أشجار السرو بنفحات من العطور.
هناك الراعي القديم يشـارك صيـاد
السمك مسكنه وموسيقاه.
هناك سكن الفلاحين، وهـو غالبـاً
قرب الغابة.
«ديبيو»[١٠]، والمنجل بيدها، تلتقي
«بان»[١١] ينفخ بمزماره.

(٥) Graces «المنعَّمات» هـن إلاهـات الجمال والإغراء والفـرح. وقـد ذكرهـن الشـاعر هزيـود مـع «الرغبـة» يعشـن سـعيدات في منـازلهن وبأصواتهن العذبة يمدحن الشرائع والأساليب الدمثة للخالدين (مولد الآلهة ٦٤). وهو يجعل عددهن ثلاثاً: عجلايا، ثم أفروسين، ثـم ثاليـا، يشـع مـن أعينهن سيل من الحب، يذيب القوة في أعضاء الرجل (مولد الآلهة ٩٠٨).
وتوجـد تمـاثيل لهـن علـى بـاب «الاكروبـول» في أثينـا، كمـا يذكـر بوزانياس (٩:٣٥، ١) ويذكر ابولودورس أسماء هزيود للمنعَّمات (١:٣، ١). وهو يذكر أن «مينوس» الكريتي كـان يضحـي لهـن في جزيـرة «بـاروس» (٣:١٥، ٧).
ويرى ديودورس الصقلي أن زوس الإله أوكل للمنعَّمات زينة المظهر وتجميل أعضاء الجسم، للنظر وليسبغن النعم بسلوكهن (٥:٧٣، ٤).
واعتمـد هنـا تسـمية المنعَّمات لـورود هـذه اللفظـة في نـص «الآلهـة الوسيمة» في كتابات «أوغـاريت» وهـي لوظيفـة مماثلـة مرادفـة لكلمـة «ي س م م = ن ع م م».
خاصة وأن بوزانياس ذكر أن أول رجل قـدم أضحية للمنعَّمات كـان «إتيوكـل» مـن منطقـة «بويتيـا» (٩:٣٥، ١). والمنطقـة كـانت خاضعـة للثقافة الكنعانية منذ زمن قدموس.

(٦) Beroë هـو اسـم لمدينـة بـيروت التي تصورهـا الشـاعر حوريـة يتصارع لأجل ودها إلهان. وقد شاء بهذه التسمية تمييزها عن واقـع المدينـة المادي وتصوره لها. وفي هذا المقطع الشعري يقلد الشـاعر هزيـود فيدعـو عرائس الشعر للإنشاد معه (مولد الآلهة ٢٥) في مديح بيروت. أما بـيروت حسـب نصـوص سـانخونياتن، فهـي زوجـة «عليـون»، وكـانـا يقيمـان في ضواحي جبيل.

(٧) Kronidis الاسم هنـا يعني ابـن كرونـوس، أي بوزيـدون، إلـه البحر. وكلمة «لايايُس» هي اسم آخر للإله ديونيسوس، المتعدد الأسماء.

(٨) يصف بيروت بذات الجزر الجميلة. ولغياب هـذه الجـزر عـن بحـر بيروت نفترض أن إشارته تقصد صخرة «الروشـيه» علـى الشـاطئ الغربـي، فهي مثيرة للدهشة بـالخضرة التي تغطي قمتهـا، إلا إذا كـانت هنـاك جـزر صغيرة قد اختفت. ولكن أحداً غيره لم يذكر ذلك.

(٩) Assyria استعمل الشاعر الاصطلاح اليونـاني-الرومـاني الـذي كـان هـيرودت قـد استعمله، وجعلـه يشـمل بـابل ونينـوى (١:١٧٩). والمنطقة، كما تعارفها الرومان، تشمل ما بين جبـال أرمينيـا وجبـال إيـران، حتى البادية العربية. كمـا هـي في العهـد الفارسي كـانت تشـمل فينيقيـا وفلسطين ولبنان وقبرص، حسـب هـيرودت (٣:٩٤). ولهـذا فضلنـا تـرك التعريف كما هو. ويعرف سترابو «أسيريا» بأنها بابل وما حولها، وتشمل أعالي الفرات. كما رأى أن مـا اصطلـح عليـه النـاس باسـم «سـوريين» في زمنه، أي القرن الأول للميلاد، كانوا ينتشرون حتى كيليكيا وفينيقيا، حتـى بحر مصر وخليج «إسوس» حتى «البحر الأسود».
كما هو رأى أن قبائل كبادوكيا التي تعيش قرب جبال طـورس وقـرب البحر الأسود كانوا يدعونها في زمنه «السـوريين البيض» لأن هنـاك سـوريين سود. وهو يجعل منطقة طورس تمتد حتى أمانوس (١٦:١، ٢).
ويكشف لنا ديودورس هذه التسمية، عندما يذكـر أن هنـاك مسـتعمرة كبيرة من السوريين الذين تم نقلهم إلى الأرض الواقعة قرب «بفلاغونيا» في شمال آسيا الصغرى، على البحر الأسود (٢:٤٣). وغدت التسـمية هكـذا تعني بلاد الشرق الأدنى القديم.

(١٠) Deo هو اسم الإلاهة «دمتر»، إلاهة الحصاد والفلاحـة، وهـي «سيريس» عند الرومـان، وهـي لـدى هزيـود ابنـة «رحيـه» التي اغتصبهـا كرونوس القاسي القلب، وقد ابتلعها مع أخوتها، خوفاً من أن ينافسه أبنـاؤه على العرش (مولد الآلهة ٤٥٥). ويرى بعض الباحثين أن اسمها بالأساس هو «غيومتر»، الإلاهة الأرض، الأم التي تطعم الناس.



رسم إغريقي للإلاهة ديمتر
٤٤٠ ق.م.

وعامل المحراث، وهو محني العنق، فوق محراثه، ينثر الحبوب في الأثلام التي يشقها بيد مطويّة الرسغ.

الحارث المحني الظهر، وهو يستدير مع ثيرانه الاثنين يناقش جاره الراعي، عند حافة مراعي الغابة.

والجانب الآخر للمدينة يطل على البحر، حيث تقدم صدرها لبوزيدون(١٢)، فيعانق الزوج المائي عنق المرأة المنتفخ بذراع مبتلّة، طابعاً قبلات رطبة على شفتي عروسه. شريكة سريره تتلقى في حضنها المعتاد هدايا العريس المألوفة، يرفعها بيده من الأعماق أسراباً بحرية مولودة في الماء، أسماكاً من مختلف الألوان لموائد ولائمها وهي كانت ترقص على مائدة «نيراوس»(١٣) في المياه المالحة.

وفي السهل الشمالي، باتجاه الدب الأكبر، تتلقى الشواطئ الأمواج العميقة على امتداد حوافيها.

وحسب أبولودورس هي صنعت عربة بقيادة تنينين مجنحين، وملأتها قمحاً وأعطتها لترييتوليمس، فانطلق بها في الفضاء، وبذر القمح فوق جميع الأرض المسكونة (١:٥، ٣).

ويربط بوزانياس ديمتر ببلاسغوس، جد البلاسجيين الدانيين الذي استضافها في أرغوس. ويرى أن «تريبتوليمس» كان أول من زرع الحبوب، وأن ديمتر هي التي ضمنت زراعة الحبوب وحمتها (١:١٤، ٢). وهو يعرفها بأنها بلاسجية وأن بلاسغوس صنع تمثالاً لها (٢:٢٢، ٢).

وفي بويتيا يقول بوزانياس أنهم يدعونها «أوروبه» (٩:٣٩، ٤)، كما يدعونها «الكبيرة» (٩:٢٥، ٥). ويوجد لها مزار في بلدة «هاليمس» بصفتها «واهبة الشرائع» (١:٣١، ١). كما تحول بيت قدموس في طيبه إلى مزار باسمها وبهذه الصفة لها (٩:١٦، ٣). وهذا ما يربطها بالتراث الشرقي السامي.

وتقدم لها بواكير المواسم من عنب وعسل وصوف، ولها مجموعة أشجار مقدسة (٨:٤٢، ١١).

(١١) Pan هو إله الغابات والحقول والمراعي. وهو ابن هرمس، له قرنان وقائمتا تيس ماعز مع أذنيه. وقد رأى هيرودت أن «بان» هو الأصغر بين آلهة الإغريق، هو وديونيسوس وهرقل. ولكنه، كما يقول، في مصر قديم جداً. وهو أحد الآلهة الثمانية الكبار الذين وجدوا قبل الآخرين (٢:١٤٥).

ويقول أبولودورس أن الإله «أبولو» تعلم النبوءة من «بان» ابن زوس وهايبرس (١:٤، ١) وهو، أي بان، كان يقيم في المغاور مع الماعز (١:٣٢، ٦) و(١٠:٣٢، ٥) وأوفيد (١٤:٥١٥). وينسب له مزمار من القصب (شبابة). ويذكر أوفيد أن بان هو الذي فتن الملك الأسطوري «ميداس» فحوّله عن حب الذهب إلى حب الموسيقى (١:١٦٠).

وهو كان يتبارى مع أبولون الذي كان يعزف على القيثارة، ويلبس رداء مصبوغاً بنتاج أصداف صور (١١:١٦٥). وقد اعترف بفوز أبولون عليه. وحيث انحاز ميداس إلى جانب بان عوقب بأن تحولت أذناه إلى أذني حمار (أوفيد ١١:١٧٥).

ولـ«بان» معبد قرب جبل حرمون اسمه اليوم «بانياس»، وذكر المعبد المؤرخ «بوليبيوس» حيث جرت قربه معركة حاسمة بين أنطيوخس الثالث وسكوباس، في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد (١٤:١٨).

(١٢) Poseidon هو إله البحر والزلازل والمياه، بوجه عام، له وجود وطقوس في بلاد الإغريق قبل اليونان. وفي «لاكونيا» توجد بحيرة له يعتبر سَمكها محرماً، لا يجوز أكله كما يقول بوزانياس (٣:٢١، ٥).

هو، حسب الإلياذة، أحد أبناء كرونس الثلاثة من رحيه، وهم: زوس وهادس وبوزيدون (١٥:١٨٧). ويصفه هزيود أنه «الذي يدمر بصوت عال ويهز الأرض» (مولد الآلهة ٤٥٩). حيث كان المعتقد أن حركة المياه في البحر هي التي تزلزل الأرض.

سجل بوزانياس له عدة قصص عن صراعه مع الشمس على منطقة كورنثيا، منها: «كنيدس». وحصل بوزيدون على البرزخ فيها، بينما حصلت الشمس على المرتفعات (٢:١، ٦). كما تصارع مع الإلاهة أثينا، حول جزيرة «آيجينا»، وحكم بينهما زوس أن يتشاركا في حكمها (٢:٣٠، ٦). كما حصل خلاف مع «حورا» حول «مكينا». وحكم بينهما الحكيم «فوروناوس» (٢:١٥، ٥). وهذه القصص لم تكن سوى تسجيل لفيضانات بحرية تغرق فيها بعض الأراضي. ولا تزال مشكلة مدينة البندقية الحديثة مع البحر مثالاً على هذا الصراع.

وقد كان بوزيدون أغرق بعض منطقة أرغوس، فعقدت حورا اتفاقاً معه، فعاد بمياهه وصنع الأهلون معبداً له في المكان الذي انسحب إليه (٢:٢٢، ٥).

ويذكر هيرودت أن بوزيدون أغرق مرة أرض أثينا ذاتها في فورة غضبه (٨:٥٥).

وعلى الجانب الجنوبي من العنق،
عند تلال السهل المسترخية، حيث
الطرق الرملية تقود إلى صيدون، تتألق
أشجار متنوعة، مع كرمة البساتين،
فتظلل الطريق تحت أغصانها
العريضة، بحيث لا يتيه عنها المسافر.
يتكسر البحر الواسع على
الشاطئ، ويستدير في البعيد، عند
الأفق الأزرق، حيث تخفق الريح
الغربية بأجنحتها السريعة، منطلقة
من ليبيا[14]، تذر الندى، وهي تهسّ
بصوت حاد على أبواب الأودية،
حيث أرض الزهور.
إنه الملجأ لها بعد البحر. والغابة
الغضة تغطي الأرض بأوراقها الكثيفة
وتدندن الرياح بين أغصانها.

هنا هو سكن البشر المعاصرين للفجر.
كونتهم الطبيعة بعفوية، وفق
قانون مجهول.
بدون لقاح ولدوا، وبدون زواج.
لا أب لهم، ولا أم، ولا ولادة.
عندما اندمجت الذرات، بعناصرها
الأربعة، كونت المواد الأولية، عجينة
حية، ومن بخار الماء المتكاثف
والحرارة والهواء تسرّعت الطينة
بأنفاس الحياة.
ولهذه العناصر أعطت الطبيعة
الشكل الكامل[15].
إنهم ليس لهم شكل «ككروب»[16]
البدائي الذي كان يزحف ويمسح

وهكذا نجد شاعرنا نُنّوس نظم ملحمة بيروت بوحي من هذه الصراعات بين آلهة البر وإله البحر بوزيدون. ولبوزيدون مينا جنوب مدينة صيدا باسم «ميناء بوزيد». كما عرف البيروتيون في العهد الروماني بنعت «البوزيدونيين».

(١٣) Nereus نيراوس، هو إله بحري قديم، يبدو أنه اقتباس إغريقي من تراث أوغاريت الكنعانية، حيث هذا الإله، تحت اسم ولقب «ث ف ط ن هـ ر» كان له دور كبير في ملحمة البعل. وكان يقوم بدور القضاء، وهو ما تعنيه كلمة «ثفط».

تذكره الإلياذة بصفة شيخ يقيم مع بناته في أعماق البحار (١:٣٥٨ و١٨:١٤١) ويعرفه هزيود الشاعر بأنه ابن «بونتس» البكر، الشريف ورجل الحق الشيخ المدعو هكذا لأنه لا يخطئ. وهو لطيف ويتذكر الحق ويعرف فنون الرحمة والقانون (مولد الآلهة ٢٣٣). وهذا الوصف هو تفصيل لكلمة «ث ف ط» الأوغاريتية، أي القاضي. وهو يقوم بدور القاضي في شرائع أرض الرافدين أيضاً، حيث نقرأ في شرائع حمورابي أن النهر كان يحكم في القضايا غير الواضحة (المادة ١٠٨ و١٣٢). ويرى أبولونيوس رودس أنه يعيش في بحر «أيجيه» (٤:٧٧١). وهذا البحر كان مسرحاً لسفن أوغاريت. وهو والد النيريات؛ وهؤلاء أيضاً ترد وظيفتهن في أوغاريت كرسل مبعوثات (م ل أ ك).

وحسب هزيود هو زوج «دورس»، ابنة أوقيانس التي ولدت له خمسين ابنة (مولد الآلهة ٢٤١-٢٦٥).

(١٤) Libya يطلق الاسم قديماً على قارة أفريقيا بوجه عام. والاسم هو لوالدة أغنور الفينيقي، حسب ابولودورس (٢:١، ٤). وحسب هيرودت فإن الفينيقيين داروا حول أفريقيا بطلب من الفرعون المصري «نخو» في القرن السادس قبل الميلاد. وقد سافروا من البحر الأحمر وعادوا من البحر المتوسط (٤:٤٣).

(١٥) يلخص الشاعر، خلال هذا المقطع من الشعر، فلسفته في موضوع الخلق. وهي النظرية التي كانت منتشرة في زمنه. وكان قد حددها في القرن الأول للميلاد «تيطس لوكريشيوس» الروماني، آخذاً عن فلاسفة الإغريق: أبيقورس ولوسيبس وديمقريطس، وهي تقوم على فكرة أن المادة تعمل وتتبدل تلقائياً. ومن ضمن هذا التحول التكوين الذاتي للحياة. ولا بد من الإشارة إلى أن هذه الأفكار المادية كانت في أساس تطور الفكر العلمي الغربي، والقاعدة التي نشأت عليها نظرية التطور الداروينية والمادية الماركسية. ونجد خلاصة هذه الأفكار في الفصل الخامس من قصيدة المؤلف الروماني لوكريشيوس، وهي من ستة فصول.

(١٦) Cecrops هو ملك أسطوري ينسب له تأسيس الأكروبول في أثينا. وهو الملك الأول لأتيكا التي كان اسمها ككروبيا. وهو ابن الأرض، كما يعرِّفه أبولودورس الذي يصفه بأنه نصفه إنسان ونصفه أفعوان. ويفسر هذا الشكل ديودورس الصقلي، فيرى أن الشكل المزدوج يمكن أن يكون تعبيراً عن أن نصفه إغريقي ونصفه بربري. وذلك بعد أن يذكر أن بعض حكام أثينا كان من المصريين (١:٢٨)، ويسمي من هؤلاء «بيتاوس» الذي حارب ضد طروادة، وقد ذكرته الإلياذة (٢:٥٥٢).

ويذكر بوزانياس أن ملك أتيكا الأول كان «أكتاوس» وقد تولى السلطة بعده ككروب زوج ابنته (١:٢، ٦)، كما يرى المؤرخ أن ككروب كان أول من سمى زوس «الأعلى» ومنع تقديم الأضحيات له، مكتفياً بتقديم كعكة عسل وحرقها على المذبح (١:٢٦، ٦ و٨:٢، ٣).

ونجد لدى هيرودت ذكراً لمقام مقدس لابنة ككروب أغلورس في أثينا، مما يعني أنه كان حالب حضارة ومعارف (٨:٥٥). ويصفه أوفيد بالبطل ذي الشكل المزدوج (٢:٥٥٥). وقد رأى بوزانياس اسمه في لوحة تحمل سجلاً للأبطال (١:٥، ٣).

الأرض بفقراتــه الأفعوانيــة، بينمـــا
ينفث السم وهو يتحرك. من الأسفل
هو تنين، ومن خاصرتـه حتـى رأسـه
يبدو كرجل لم تكتمل خلقته. مشـوّه
الشكل، مزدوج الخلقة.
لـم يكونـوا شبـه «إرختـاوس»[17]
الذي أولده «هيفايستس»[18] فـوق ثلـم
من أثلام الأرض بندى مخصب.



رسم لككروب على آنية
٤٢٥ ق.م.

إنهــم أول مــن ظهــر في موســم
ذهبي[19] لأناس أصيلين، على صـورة
إلهية، بجذور خاصة بهم في الأرض.
هـؤلاء سكنوا مدينـة «بـيروي»[20]
المقــام الأولــي الــذي أنشــأه
«كرونـوس»[21] ذاتـه، في ذلـك الزمـن
عندما دعته «رحيـه»[22] الحكيمـة إلى
تلك الوليمة الخشنة لبلعومـه الشره،
حيـث تلقّم الحجـر الثقيـل الـوزن،
فضاقت به أمعاؤه، وتقيأ معـه جيـلاً
عديداً من أبنائه المعذبين.
فتح فمه واسعاً وابتلع طوفانـاً مـن
نهر هادر، موسعاً له في أمعائه، ذات
الغليـان لتسـكين هيجانـهـا، وبعدهـا
قذف من بطنه الحمل الثقيل.

(١٧) Erechtheus هـو ابـن «بانديون» ابـن ككروب. وكـانوا يقدمون له أضحيـات في أثينـا، حسـب بوزانيـاس (١: ٢٦، ٦)، وهـو كـان ملكاً لأثينا بعد والده (١: ٣٨، ٣). وورد اسمه على قائمة أبطال مـع اسم والده على لوح أرسله أهالي أرغوس إلى دلفي (١٠: ١٠، ١).

(١٨) Hephaistos هو حسب هزيود رجـل صناعـة شهير، وأمهـر جميع أبناء السماء. وقد حملت به «حورا» بدون علاقة جنسية (مولد الآلهة ٩٢٧). وقد طلب منه أن يمزج التراب بالماء وأن يضع فيه صوتاً، ويجعل لـه وجهاً كإلاهة بشكل فتاة عذراء، أشرك معه بصناعته جميـع الآلهـة، فكـانت منها الفتاة، متعددة المواهب، بندورا (هزيود – الأعمال والأيـام ٦١). وإلى هذه العملية من الخلق أشار الشاعر نُنّوس.
ويرى بعض الباحثين أنه دخل إلى بلاد الإغريق بطريق آسـيا الصغرى، حيث تكثر البراكين. واعتقـدوا أنـه يقيـم تحت بركـان «إتنـا» وفي الجزر القريبة منه. وهو اشتهر كحداد أعرج. وحسب الإلياذة هو صنع صولجان «أغاممنون» الذي وصله عبر أجيـال مـن الإلـه زوس (١٢: ١٠١). وكـانت أمـه قـد أخفتـه وأبعدتـه عـن السماء لكونـه أعـرج (١٨: ٣٩٦). وكـانت معابده منتشرة في المدن الصناعية.

(١٩) الموسم الذهبي. إشـارة إلى تقسيم هزيـود العصـور إلى ثلاثـة، هي: العصر الذهبي أو السلالة الذهبية في عهد كرونـوس، حيث كـان النـاس يعيشـون كالآلهة بسعادة ويأتيهم الموت كالنوم. ثـم السـلالة الفضيـة، وهـي أقـل مسـتوى بالأجسام والنفوس. ثم السلالة البرونزية، وهي سلالة أقل مسـتوى مـن الفضيـة، لكنها سلالة قوية ومحبّة للحروب وقلوبها قاسية كالصوان. وكانت كل أسلحتهم وبيوتهم مصنوعة من البرونز. ثم ولدت سلالة رابعة، هي سلالة الأبطـال، أشباه الآلهة، يدعونها أنصـاف آلهـة، وهـي قبـل سـلالتنا، ومنهـا كـان أوديـب وأتباعـه والذين احتازوا البحر ليموتوا في طروادة (الأعمال والأيام ١٠٠-١٧٦).

(٢٠) Beroë وردت بيروت بصفة امرأة في نص سـانخونياتن الـذي ترجمـه فيلـون الجبيلـي. وهـي زوجـة «عليـون» المقيـم في منطقـة جبيـل (أوزابيوس – الاستعداد للحياة الإنجيلية ١: ١٠، ١٤). وفي النص ذاتـه يـرد أن كرونس أعطى بيروت لبوزيـدون (١: ١٠، ٣٥)، وهكـذا يكـون ننّـوس اعتمـد الأسـطورة الكنعانيـة في ملحمتـه، حيـث سـنرى في النهايـة أن زوس حكم بإعطاء بيروي لبوزيدون كذلك.

(٢١) Cronos هو لدى سانخونياتن «إيلوس» ذاته ابن أورانوس من «غايه»، أي ابن السماء والأرض. وقد انقلب على والـده وسلبه رجولتـه، حسب هزيود في مولد الآلهة (١٣٧). وحسب سانخونياتن عزل والده، ثـم أنشأ مدينة جبيـل في فينيقيا (١: ١٠، ١٩). وقـد دعـي أتباعـه «علوييـم» (١: ١٠، ١٩-٢٦).
ويذكر ابن النديم في «الفهرست» أن الحرانيين كانوا يعتبرون «قرنس» من آلهتهم، وهـو «زحـل»، ولـه يـوم السـبت. وكـانوا يقدمـون لـه ثـوراً أضحية في العشرين من نيسان كل سنة (ص ٣٢٢).
وكان كرونوس قد علم بنبوءة تقـول أن أحـد أبنائـه سـيتغلب عليـه، فابتلع أبناءه. وحزنت لذلك زوجته «رحيه». وعندما حملت بزوس أخفت حملها وذهبت إلى جزيرة كريت، فولدته في كهف هنـاك، وأخفتـه وأعطـت والده حجراً ملفوفاً بثوب فابتلعه. وكان هـذا الحجر سبب تقيؤه لأولاده (مولد الآلهة ٤٥٣-٥٠٠).
ويخبرنا بوزانياس أنه كان له عيد سنوي على قمة جبل في «إيليا» يدعى «كرونيون». وكان عيده زمن الانقلاب الربيعي (٦: ٢٠، ١).

(٢٢) Rheia هي لدى سـانخونياتن ابنـة أورانـوس وأخـت عشـتارتا وديونـي وزوجـة كرونـوس (١: ١٠، ٢٢). وحسـب هزيـود، اغتصبهـا كرونوس فولدت له نسلاً بارزاً، هم: هستيا، ديمتر، حورا، هادس، بوزيدون وزوس، أبو الآلهة والناس (٤٥٣). وكذلك في الإلياذة (١٥: ١٨٧) ولـدى أبولودورس (١: ١، ٣).

وهكذا، واحداً بعد الآخر، تقيأ
بلعومه المنتفخ وقذف أبناءه بولادة
ثانية من مريئه المولِّد.
كان زوس[٢٣] لا يزال طفلاً.
لم يكن البرق يشق الأعالي، ويمزق
السحب برقصات وميضه.
لم تكن صواعق زوس قد انطلقت
بعد في حرب التيتان[٢٤].
ولا حتى أصوات الرعود المطرة
كانت تزأر، متفجرة بين الغيوم
المتصادمة.

أيون شفيع المنجمين

ولكن، قبل ذلك، كانت «بيروي»
هناك، حيث رأى «الزمن»[٢٥]
ظهورها الأول، مولودة مع الأرض،
معاصرة لها.
لم تكن «طارسوس»[٢٦] البهيجة قد
وجدت. وكذلك لم تكن «طيبه»[٢٧]،
ولا «ساردس»[٢٨]، حيث يتدفق نبع
«الباكتول»[٢٩] بأشعة ذهبية، مضارعة
للشمس (هيليوس).

ويذكر أبولونيوس روديوس عن الفريجيين أنهم كانوا يتوسلون إلى رحيه بالدفوف والطبول، وكانوا يعبدونها بشكل جذع شجرة سنديان (١:١١٣٨). وهذا يقربها من أشيرة الكنعانية (تثنية ١٦:٢١). ويذكر ديودورس الصقلي أن، حتى أيامه، كان الأهلون يشيرون إلى خراب باسم بيت «رحيه» في كريت، قرب كنوسس. وقرب البيت كانت شجرة قديمة موقوفة للإلاهة (٥:٦، ١).

(٢٣) Zeus يعرفه هزيود في «مولد الآلهة» بأنه ذو الفكر، والد الآلهة والناس الذي يجعل رعده الأرض الواسعة تضطرب (٤٦١). وهو ابن كرونوس المتمرد. وقد حدثت حرب طروادة بإرادته، حسب الإلياذة (١:٥). وهو الإله الوحيد الهندوأوروبي، كما يرى الباحثون في الحضارة الإغريقية. ولكنه ليس مطلقاً بإرادته، حيث نقرأ أن آلهة الأولمب تآمروا عليه وقيدوه وسخروا منه، حتى جاء العملاق «برياروس» وفك رباطه (الإلياذة ١:٣٩٧). ويرى شاعرنا نُنُّوس أن قدموس حرره وحماه في الأولمب (٣:٤٣٩).

وهو الذي حكم بالخلاف بين أفروديت وبرسفوني، إلاهة الموت، حيث حكم بقسمة السنة إلى ثلاثة فصول يمضي أدونيس منها فصلاً بحريته، ثم فصلاً مع برسفوني (بروصربين)، والباقي مع أفروديت. وعندئذ تبرع أدونيس بالفصل الذي يخصه لأفروديت، إلى أن قضى بناب دب في منطقة «أفقا» اللبنانية، بينما كان في رحلة صيد (أبولودورس ٣:١٤، ٤).

ومن أسمائه أيضاً «زون»، لأنه سبب الحق ويعتبره الناس إلهاً لجميع الكون كما يقول ديودورس الصقلي (٣:٦١، ٥).

وهنا نتساءل عن تسمية «مجدل زون» في جنوب لبنان وإلى أي عهد تعود تسميتها. كما لا بد من التذكير بوجود إله معادٍ في التراث السومري - البابلي باسم «زو» حاربه «ماردوخ» لاستعادة طوابع السمات منه. وكان رمزه غيمة ونسراً برأس أسد، للتعبير عن الرعد، وهي ذات الوظيفة الخاصة بزوس في الإلياذة. وهكذا لا نجد فكرة حصر نسبه بالهندوأوروبي فكرة مقنعة.

(٢٤) Titans التيتان هم أبناء الأرض والسماء، المتمردون الذين طردهم زوس من السماء (مولد الآلهة ٨٢٣). وهم، كما يبدو، النسخة الإغريقية عن الآلهة المتمردين بقيادة «كنغو» الذين حاربهم «ماردوخ»، في ملحمة الخلق البابلية «إنوما إيليش». ويرى «غريف» أنهم ربما دخلوا الميتولوجيا الإغريقية بطريق الكنعانيين الذين استوطنوا «كورنثيا» في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد.

وحسب هزيود في «مولد الآلهة» دعاهم أورانوس الأب العظيم تيتان لأنهم سفهاء، وقاموا بعمل يجب أن يعاقبوا عليه (٢٠٨). وهذا الوصف ذاته نجده لدى البابليين.

وحسب المذهب الأورفي فإن الإنسان وجد من رماد التيتان الأشرار. ولهذا يوجد فيه الشر. وفي القصة البابلية أن الإنسان جبل من دماء «كنغو»، زعيم المتمردين، ولهذا هو يشقى عقاباً، بالنيابة عن الإله. ولدى سانخونياتن هم صيادون ذوو كلاب ويدعونهم قبائل تائهة وتيتان (١:١٠، ١٣).

(٢٥) Aioun الزمن هنا هو الديمومة والخلود في مدلول اللفظة اليونانية.

(٢٦) Tarsos هي عاصمة «كيليكيا» وأقدم مدنها. وتقول الأسطورة أنها من بناء «هرقل» أو «برسيوس».

(٢٧) Thebes مدينة في سهل بويتيا. وقد وصفها هوميرس في الإلياذة بأنها طيبه ذات الحصن المنيع الأساس (٢:٥٠٥). وهي المدينة التي سكنها قدموس وبنى فيها قلعة «قدميا» باسمه.

كما هناك «طيبه» في مصر، وينسب إنشاؤها إلى أوزيريس (ديودورس ١:١٥). ويرى ديودورس أن قدموس، ابن أغنور، وزوج هرمونيا، هو الذي أنشأ طيبه الإغريقية (٤:٢). ولكن يذكر هوميرس في الأوديسه أن «أمفيون» و«زوثوس» هما اللذان بنيا طيبه، ذات الأبواب السبعة وأحاطاها بالأبراج وبسور لا يستطيعون السكن فيها بدونه (١١:٢٦٣).

لـم تكـن سـلالة النـاس موجـودة
آنذاك. ولا أية مدينة «آخيـة»[٣٠]، أو
حتى «أركاديا»[٣١] القمرية ذاتها.

– بيروي وحدها نشأت أقـدم مـن
«فـايتون»[٣٢]، الـذي منـه تتلقـى
«سيلينى»[٣٣] نورها، حتى وقبل أيـة
أرض.

سقوط فايتون

«سيلينى» التي لا تسـتقر، ترضـع
مـن «هيليـوس»[٣٤] بريـق لمعانهـا
الجديد. ومن ثدي أمومتهـا تتلقـى،
في النهـاية، نورها المكتمل.
«بيروي» هي الأولى التي تهز حمل
الغيوم الداكنـة، وتبـدد الظلمـة التـي
تلف الخواء.

وطيبه هنا هي بلدة ديونيسوس، بطل الملحمة، وقد كـان هـذا يعمـل لإقنـاع أهلها بأنه إله، كما يصور ذلك «يوريبـد» الشـاعر في مسـرحية «الباخوسيات»، وحسب أبولودرس أيضاً (٣:٥، ٢). وهي من أهم المدن التاريخية في بلاد الإغريق.

(٢٨) Sardis أشهر مدينة في منطقة ليديا وملتقى طرق قديمة، تتجه إلى داخل آسيا الصغرى. وهي أول مدينة سكّت نقوداً معدنية مـن الذهـب والفضة. اشتهر فيها معبد «أرطميس» (معجم أوكسفورد). وكانت ثريـة وعظيمـة في العهـد الفارسـي. وقـد والـت «أنتيغونـس» بعـد الإسـكندر (بوزانياس ٣:٩، ٥) وديودورس (٢٠:٣٧، ٥).

(٢٩) Pactoles نهـر شـهير بجـوار «سـاردس» ينبـع مـن جبـل «تمولوس» (سترابو ١٢:٣، ٢٧). وكان يحمل قطعاً ذهبيـة مـع تياره في الأزمنة القديمة (٤:١٣، ٥). ومن هـذا الذهـب جـاءت شـهرة ثـراء عائلـة «كـروزس». وكانوا يذهبون إليها لشراء الذهب لصناعة التماثيل الثمينة (هيرودت ١:٧٠).

(٣٠) Achaea اسم يطلـق علـى الإغريـق في النصوص الفرعونيـة والحثية، في الألف الثاني قبل الميلاد. وبعد ذلـك انحصـرت التسـمية بمنطقـة «تساليا» وشمال البلوبونيز. وقد اشتهرت اللفظة لاقترانها بحلف بـين عـدد من المدن سنة ٢٨٠ ق.م وسمي «الحلف الآخي».

(٣١) Arcadia منطقـة جبلية جميلة في وسـط البلوبونـيز (سـترابو ٨:٨، ١). ويعتقد الأركاديون القدماء أن أول من أنشأ الحيـاة الإجتماعيـة لديهم هو «بلاسغوس» الذي كشف لهم أن «البلوط» طعام صـالح. وقـد اشـتهروا بـه، كمـا يقـول بوزانيـاس (٨:١، ٤). وأقـدم مدينـة فيهـا هـي «حورايا»، حيث شاهد بوزانياس بقايا أعمدة معبد الإلاهة «حـورا». وفي المدينة عدد من المعابد المختلفة الوظائف لديونيسوس ولـ «بان»، حيث يعتبر هذا الأخير إلهاً أركادياً (٨:٢٦، ١ و٢).

وهنـاك منطقـة في أركاديـا يسـميها النـاس «المجوفـة» حسـب سـترابو (٨:٣، ٢). فهل تكون هذه ما يسميه الشاعر القمرية؟ وقبائل أركاديا هي أقدم قبائل الإغريق، كما يقول سترابو (٨:٨، ١).

(٣٢) Phaëthon هو ابـن الشـمس مـن «كليمـين». عندمـا كـبر سأل والدته عن أبيه فدلته، فذهب إليه باتجاه الشرق مـن بلـده «أثيوبيـا»، فوجد الشمس وحوله ممثلي الأيام والأشهر والسنوات والقـرون والسـاعات، ثم الفصول، فسأله الشمس أن يطلب أمنية يحققها له، فطلب أن يقود عربـة الشمس. وعندما استلم القيادة خرجـت عـن مسـارها واضطربـت حيـاة العـالم، فندم وتمنى لو أنه فقط ابن «ميروب» ملك أثيوبيا وليس ابناً للشمس.

ولـم يعـد الشـمس إلى المسار الصحيـح إلاّ عندمـا تدخـل زوس وقتـل فايثون بصاعقة (أوفيد ١:٧٥٠ – ٢:٣٤٠). والعظـة مـن هـذه الأسـطورة هي انتظام القانون الكوني للشمس.

(٣٣) Selene إلاهة القمر لدى الإغريق. عرّفها هزيود إلاهة القمر اللامعة (مولد الآلهة ٣٧٢). ويذكر ديودورس الصقلي أن النـاس يؤلهونهـا ويقرعون الطبول والصنوج لها (٣:٥٧). وهذه الطقوس يمارسها الناس عند خسوف القمر. ولدى أوفيد أن الشمس عندما تصاب بكسوف إنما يكـون ذلك بسبب حبها للقمر (٤:١٩٨). ويذكر سترابو أنها كان لهـا معبـد في إيبريا (ألبانيا). وكان كاهنها يعتـبر الثـاني بعد الملك في مرتبتـه. وكـانوا يقدمون لها أضحيات بشرية من المشردين (١١:٤، ٧).

(٣٤) Helios هو الشمس والإله. وكـان مسـؤولاً عـن العدالـة في الحضارة البابلية. ويعرف هزيود هيليوس بأنه أخـو سـليني (القمـر) وايـوس (الفجر) (مولد الآلهة ٣٧٥). ويعرف أوفيد الشـمس بأنهـا منظمـة العـالم (١:٧٧٢) وهي لدى نُنّوس مظهر من مظاهر الإله الأعظم (٤٠:٣٨٦).

وكان أمبدوكل الإغريقي يرى أن الشمس كتلة مادية مكونة من جميـع عنـاصر الأرض (ف ٣٨). وكـانت تمثـل بعربـة تجرهـا كائنـات مجنحـة (أبولونيوس روديوس ٤:٥٩٨).

قبل قبرص ورأس «كورنثيا» تلقت «القبرصية»[٣٥] في أحضانها المضيافة، المولودة الجديدة من الأمواج.
إنها المولودة، التي حملت بها المياه عندما زرع «أورانوس»[٣٦] بذرته في أثلامها، فأنتجت أفروديت من الأعماق البحرية.
بدون زواج انغرست البذرة الذكرية في أحشاء الموج، وشكلت من زبد الماء فتاة، وكانت الطبيعة هي «القابلة».
جاءت بالإلاهة هناك، مع وشاح مزيّن، يطوّق خصرها كحزام حول قامة الملكة، يلفها من ذاته.
خطت الإلاهة بدون ضجيج فوق سطح الماء، باتجاه الشاطئ. ولم تتجه إلى «بافوس»[٣٧] أو جبيل، ولم تضع قدمها فوق صخور «كولياس»[٣٨] الجافة.
حتى أنها تجاوزت مدينة «قيثيرا»[٣٩] ذاتها بوثبة سريعة.
طوقت جسمها بنباتات البحر، فغدت أكثر بهاء.
مدت يديها فوق مياه ولادتها، تشق طريقها في أعماق لا موج فيها، وراحت تسبح. ألقت بصدرها فوق البحر الساكن، وراحت تضرب برجلها لتبقى عائمة.
كانت تشق السكون وتدفع المياه إلى الخلف، باندفاعات متتالية من قدميها، إلى أن برزت في بيروي.
تلك كانت خطوات الإلاهة التي ظهرت من البحر، وفق أكذوبات شعب قبرص[٤٠].

(٣٥) Cypris هو لقب لأفروديت المولودة من زبد الموج في البحر، حيث صعدت من البحر إلى اليابسة في قبرص وراحت الأعشاب تنمو تحت أقدامها (مولد الآلهة ١٨٨). وفي المقطع يصف الشاعر بيروت بأنها تهز الغيوم، لمعرفته بأن المطر يصلها من غيوم البحر، فتكون أول من يستقبل المطر الآتي من الغرب الجنوبي غالباً.

(٣٦) Uranos هو الإله الأعلى «السماء» وزوج الأرض «غايه». وبينما كان أورانوس يغمر الأرض ومعه الليل كانت غاية خبأت ابنها كرونوس، ومعه منجل، احتز به الأعضاء الجنسية لأورانوس (مولد الآلهة ١٧٥ - ٢٠٠). وفي نص سانخونياتن المماثل لنص هزيود نقرأ أن أورانوس كان مفترقاً عن غايه ويواصلها بالقوة، ثم ينفصل عنها (١:١، ١٦). ويتابع فيذكر النص أن كرونوس صنع كميناً لوالده، عند ينابيع الأنهار واحتز أعضاءه الجنسية (١٠:١، ٢٩). ولعل الاسم الإغريقي ذاته هو للإله «ح ر ن» المذكور في أوغاريت. وقد ورد في ملحمة «البعل» كما في ملحمة «كرت» للتهديد به، وكأنه الأب أورانوس ذاته.

(٣٧) Paphos مدينة في قبرص اشتهرت بمعبد الإلاهة أفروديت، فغدت تعرف بالبافية. وينسب بناء المعبد فيها للملك كنيراس الفينيقي الذي بقيت سلالته تمارس وظيفة الكهنوت فيها حتى العهد الروماني. كما سجل ذلك المؤرخ تاسيت (٢:٣). وقد بنى المدينة كنيراس وتزوج ابنة ملك قبرص، كما يذكر أبولودورس (١٤:٣، ٣).
وحسب سترابو فإن «أغابنور» الأركادي هو الذي أنشأ بافوس بعد عودته من حرب طروادة، وقد قادته عاصفة إلى قبرص، فأنشأ المدينة ومعبدها (١٤، ٦، ٣). ونفهم من نص لبوزانياس أن هناك مدينتين، واحدة جديدة أنشأها أغابنور والثانية قديمة (٥:٨، ٢). وهذا لا ينفي أن يكون كنيراس ملك جبيل بنى إحداهما مع معبدها.

(٣٨) Coliads إشارة إلى وجود معبد لأفروديت فوق رأس بحري في «الكولياد» في «أتيكا»، كما يذكر ذلك المترجم الفرنسي الكونت «دي مرسيلس» في الحاشية رقم «١١».

(٣٩) Cythera جزيرة صغيرة بين كريت وأرغوس (سترابو ٢:٥، ٢١). وفيها مدينة تحمل الاسم ذاته (٥:٨، ١). وفي المدينة معبد هام لأفروديت، مماثل لمعبد بافوس وجبيل كما يقول ديودورس (٧٧:٥، ٦).

(٤٠) يسخر هنا من ادعاءات القبارصة بأن أفروديت ولدت من زبد الموج وخرجت إلى البر في جزيرتهم.

بـيروي، كـانت الأولى التي استقبلت القبرصية؛ وفوق الطرقات المجاورة تنتشر المروج، مغطاة بالعشب والنباتات والزهور.
وفي مينائها الرملي يحمر الشاطئ بورود نباتاته المتشابكة.
وصخور الشاطئ تبعث رائحة خمرية عذبة من نبتة أرجوانية بين حناياها.
وينتشر رذاذ ندى مشبّع بما تنفثه معاصر الخمور[41].
ومياه غدير راغية بزبد أبيض وعبير بخور يتهادى بذاته فينتشي النسيم به عند مروره[42].
وهناك، ما أن بدت على أهداب المرفأ المجاور حتى لحق بها «إيروس»[43] الوحشي، البذرة الأولى للبدء والتناسل، الدليل المسرّع لنظام العالم، الولد الراكل للرجولة بسرعة برجليه الحيويتين، الموقظ لنشاط الجسد بدون عناية من أحد.
لقد كان يطرق باب رحم أمه المقفل قبل زواجها.
عندئذ، وهو المتحرّق، حتى ما قبل الولادة، كان يهز جناحيه الخفيفين وبدفعة عنيدة فتح أبواب الولادة.
سرّع إيروس ساعة ولادته، وقفز إلى ذراعي أمه الناصعتين.
استلقى على صدرها الحميم، وراح يمص ثدييها.

(٤١) هنا يخبرنا الشاعر عن شهرة بيروت بإنتاج الخمور في زمنه.

(٤٢) هناك عدد من السواقي والعيون كان ظاهراً في بيروت، منها: ساقية الجنزير، عين التينة، عين المريسيه، عين الدلبه، عين الرمانه.

بالاضافة إلى نهر بيروت الذي كان يحمل معه عبق رائحة الصنوبر على ضفتيه.

(٤٣) Eros هو إله الحب والشهوة، رفيق أفروديت المثيرة الدائم بين الناس والآلهة كما يقول هزيود (مولد الآلهة ٢٠١). وهو، في الأساس، النجم المسؤول عن بذور الجنس في ملحمة الخلق البابلية. وقد استعمله هوميروس بوصفه الرغبة الجنسية (الإلياذة ٤٤٢:٣ و٢٩٥:١٤ والأوديسية ٢١٢:١٨)، ولا نزال نستخدمه في العامية اسماً للعضو الذكري للرجل.

وفي رأي الفيلسوف الإغريقي «بارمنيدس» أن أول شيء أبدعته الألوهة الكونية هو «إيروس» وقبل كل الآلهة (ف ١٣). والشاعر يعرفه لنا هنا تعريفاً شعرياً رائعاً. وقد عرف الفيلسوف أرسطو «إيروس» في كتابه «الميتافيزيق» (٤:١). وكذلك المؤرخ بوزانياس (٢٧:٩، ٢).

وفي نص سانخونياتن هو أخو «بوثوس» وابن عشتارتا من كرونوس (١٠:١، ٢٤).

بدون تعليم من أحد كان يعرف
أين يلقى غذاءه.
لقد عض بفكيه حلمة الثدي الذي
لم يعطِ حليباً من قبل.
وبشره ابتلع كل الحليب من ذينك
الثديين، برغبة في نقاطهما المانحة
للحياة.

* * *

يا بيروت، أرومة الحياة، مرضعة
المدن، مفخرة الأمراء، أولى المدن
المنظورة، الأخت التوأم للزمن،
المعاصرة للكون، كرسي «هرمس»[٤٤]،
أرض العدالة، مدينة الشرائع،
«عرزال» البهجة، منزل «البافية»،
معبد كل حب، أرض البهجة
لباخوس، البيت الأصيل لرامية
السهام (ديانا)[٤٥]، جوهرة
«النيريَّات»[٤٦]، حصن «زوس» وميدان
«أرويس»[٤٧]، «أورخومينيا»[٤٨]
المنعَّمات، نجمة بلاد لبنان، مركز
اللقاء السنوي لتيثس[٤٩] وأوقيانوس[٥٠]
زوجها، وهي التي ولدتك في السرير،
ذي الينابيع المتعددة حين اجتمعت
به في سرير مائي.

بيروي التي يدعونها كذلك
«أميمون»، بعد أن ولدتها أمها في
مخدعها، في أعماق الماء!

(٤٤) Hermes هو إله الحكمة والمعرفة. ووفق الرواية الإغريقية هو ابن «مايا»، من الإله «زوس». وقد ولد في مغارة «كليني» في أركاديا، وقد قمطته أمه ووضعته في غربال، فانفلت من قماطه، حسب أبولودورس (٣:١٠، ٢) وديودورس الصقلي (٣:٦٠، ٤).
وعند توزيع الوظائف والمسؤوليات بين الآلهة أبناء زوس يجعل ديودورس نصيب هرمس: السفارات بين الدول من أجل السلام والمفاوضات والهدنات في حالة الحرب. وهو أول من ابتكر المقاييس والأوزان والفوائد التجارية، كما هو الرسول الموثوق بين الآلهة. وقد ابتكر فن المصارعة، كما ابتكر العود للموسيقى باستعماله قوقعة سلحفاة (٥:٧٥).
وحسب سانخونياتن هو ابن ميصور يدعى «تاوتس» الذي اكتشف الكتابة وصاغ أشكال الحروف. يدعوه المصريون «ثاوط»، والإسكندريون «ثوث»، والإغريق يدعونه «هرمس» (١:١٠، ١٤).
ويعتبره ديودورس الصقلي ملكاً مصرياً جرى تأليهه (١:١٣، ٢)، وكان مستشاراً لأوزيريس وكاتباً له (١:١٦). ويتفق المصريون والكلدانيون على إطلاق اسمه على أحد الكواكب (عطارد) (٢:٣٠، ٣).
ويذكره ابن النديم في «الفهرست» أن هرمس اسم كلداني يعني «عطارد». وهو انتقل إلى مصر وملكها، وكان له أولاد، منهم: «طاط» و«صا» و«أشمن» و«إثريب» و«قفط» (ص ٢٩٩ و٣٥٢).

(٤٥) Diana إلاهة إيطالية تتخذ صفات أرطميس. وهي من آلهة الغابة. ويذكر لها ليفي معبداً هاماً في «روما» كانت الذبائح تقدم لها فيه (١:٤٥). ويذكر أوفيد أن لباسها كان ثوباً قصيراً يشده حزام (١:٦٩٥). وهي سحرت «أكتيون» بشكل ظبي لأنه رآها عارية تستحم. وقد مزقته كلابه ذاتها إرضاء لغضبها حسب أوفيد (٣:١٥٦).

(٤٦) Nereïds هن بنات «نيراوس» الخمسون (مولد الآلهة ٢٤١-٢٦٥)، ويقمن معه في أعماق البحر (الإلياذة ١:٣٥٨ و١٨:١٤١).

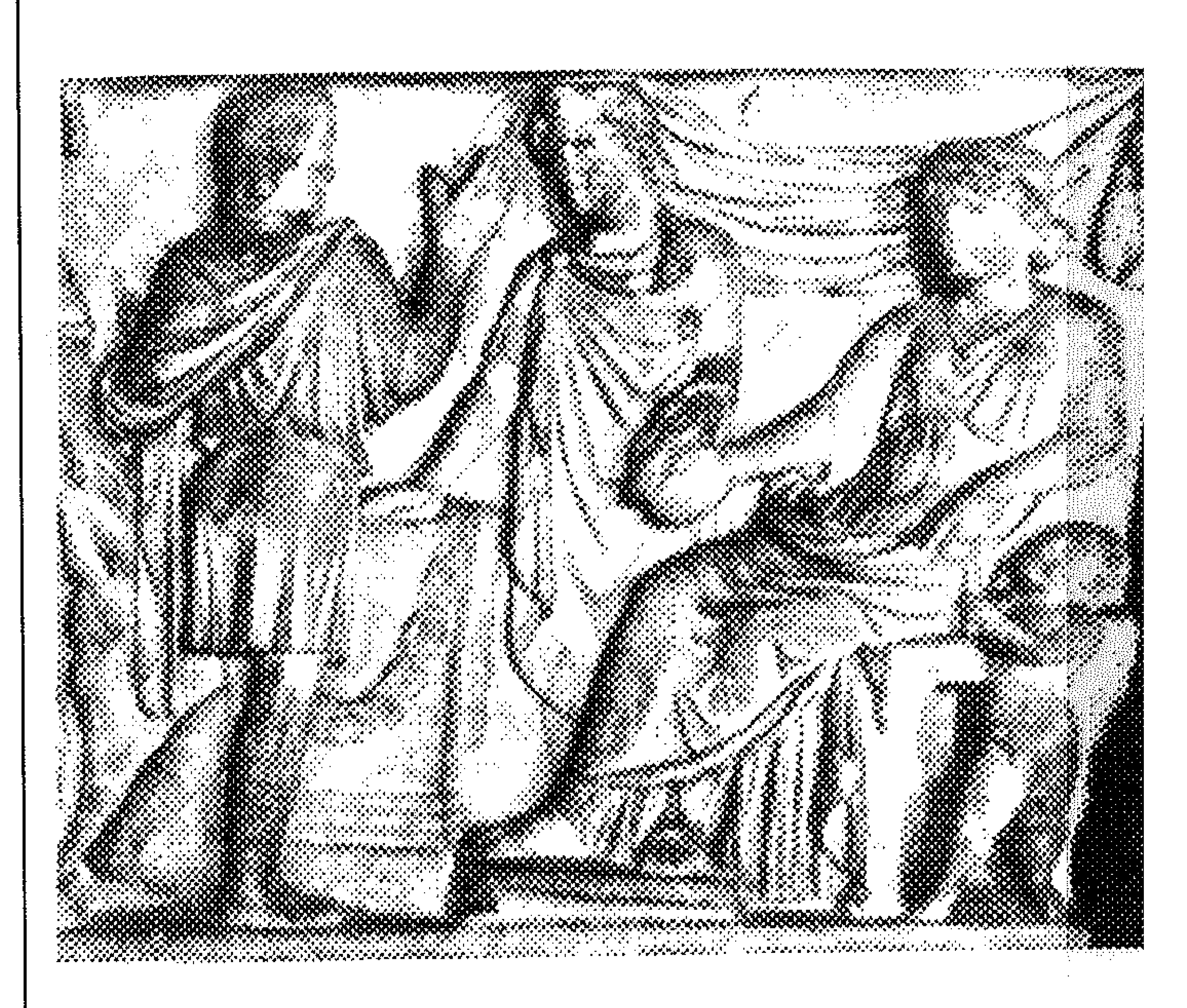
(٤٧) Areus هكذا يكتب الاسم باللهجة الأيولية، ونحن نتبنى هذه اللهجة لوجود مغارة باسمه في منطقة أفقا، هي مغارة «الرويس»، حيث كان هو بشكل دب أو خنزير وقضى على أدونيس خصمه. يرد في الأساطير بصفته إله الشر والحروب. تذكره الأوديسية كعشيق لأفروديت التي خانت زوجها النبيل «هيفايستس» لأجله (٨:٢٦٦). وتعرفه الإلياذة بأنه «سفاك دماء الناس، عندما يسير في القتال» (٥:٣٠ و١٣:٢٩٨). وحسب الإلياذة كان يحارب إلى جانب الطرواد. وادعى عليه بوزيدون أمام مجلس الآلهة الاثني عشر، فحوكم، وخرج بريئاً (ابولودورس ٣:١٤، ٢ وبوزانياس ١:٢١، ٧).

(٤٨) Orchomenos هي مدينة حصينة وهامة انضمت إلى بويتيا حسب الإلياذة (٢:٥١١)، كانت فوق قمة جبل. كان فيها تمثال خشبي ضخم لأرطميس مشغول من خشب الأرز مع تماثيل لبوزيدون وأفروديت حسب بوزانياس ويدعونها «أرطميس الأرز» (٨:١٣، ٢).

(٤٩) Tethys هي ابنة أورانوس والأرض، وفق هزيود (مولد الآلهة ١٣٦). وتزوجت أوقيانس فولدت له ثلاثة آلاف حورية هن الأوقيانيات، ومع هؤلاء الأنهار والسواقي التي يعجز الإنسان عن عدها (٣٦٣-٣٧١). وتذكرها الإلياذة بأنها أم الآلهة جميعاً (١٤:٢٠١).

(٥٠) Oceanus هو ابن السماء والأرض (مولد الآلهة ١٣٣) وزوج تيثس (٣٦٣) تذكره الإلياذة بصفته نهراً يلف الأرض (١٨:٦٠٦). ويرى هزيود أن هناك فرعاً من أوقيانس بمثابة العشر منه يجري تحت الأرض (٧٨٦)، وحسب الإلياذة نشأت عن أوقيانس الآلهة وجميع بذور الخالدين (١٤:٢٠١ و٢٤٦ و٣٠٢). وهذه النظرية نشأت من اعتبار النجوم تغيب في البحر وتولد منه، ما عدا نجم الأوريون (الشعرى) (١٨:٤٨٩) والنجوم هي الآلهة وفق عقيدة قديمة.

لكن هناك أسطورة حديثة تقول أن
أمها كانت «قيثيريا»[٥١] ذاتها،
قبطانة الحياة الإنسانية، وقد حملت
بها ناصعة البياض لأدونيس[٥٢]
«الأسِّيري».



نقش على ناووس من إيطاليا
يمثل أدونيس وعشتروت وبينهما شخص يغريه بمغامرة الصيد. إلى جانب أفروديت طفل يمثل الحب.

كانت قد انهت تسع دورات
لسليني، وهي تحمل الحمل الثقيل
في أحشائها.
أسرع هرمس بخطواته السريعة
إليها وهو يحمل «الألواح
اللاتينية»[٥٣] المتنبئة بالمستقبل.
جاء ليساعد بيروي، وكانت
«طميس»[٥٤] قابلتها.
أفسحت الطريق الضيق في الرحم
المنتفخ للطفلة.
أزالت العوائق وهدأت الألم الحاد
لولادة ناضجة.

(٥١) Cytherea القيثرية هي ذاتها أفروديت وعشتاروت والقبرصية والبافية وفينوس والعزّى والزهرة وعشتارتا، أي «الإلاهة السورية» حسب تعريف «لوقيان السميساطي»، حيث ذكر أن النساء في مدينة جبيل كن يمارسن «البغاء المقدس»، طوال يوم في حياتهن من أجلها (ف ٦). ويصف هيرودت اليوناني هذا الطقس بتوسع أكثر في مدينة بابل (١٩٨:١).

ويذكر بوزانياس أن لأفروديت عدداً من الوظائف غير الجنس والإغراء. وهو يعدد عدداً من المعابد لها في بلدة «كنيدس» أحدها لأفروديت العطايا، والآخر لأفروديت الرأس، وغيره لأفروديت الكنيديه، كما يدعونها. وهم يسمونها أفروديت الإبحار الجيد (١:١، ٣). كما يذكر معبداً في كورنثيا مقدساً لا تدخله إلاّ شابة عذراء لم تعرف رجلاً، تقدس نفسها لها طوال سنة، وتدعى «حاملة المياه». ولا يرى أحد تمثال الإلاهة إلاّ من الممر، بعيداً عنها (١٠:٢، ٤). كما يذكر معبداً لأفروديت أورانيا (السماوية)، في إيليا كانوا لا يزالون يقدمون لها الأضاحي في زمنه (٢٠:٦، ٦). وحسب ديودورس الصقلي أوكل الإله زوس لأفروديت الاعتناء بفتوة الصبايا، طوال السنوات التي ينتظرن فيها الزواج (٧٣:٥، ٢).

وكانت أفروديت أورانيا معروفة في أرض لبنان وفلسطين (هيرودت ١١:٣ و١٠٧:١)، وأرميا يذكرها مع طقوس التبخير لها (١٨:٤٤). وكانت في منطقة «أفقا» اللبنانية تقدم لها تقدمات ونذور سنوياً، في عيد لها (زوزيمس ٥٨:١).

(٥٢) Adonis هو ابن «مرّه» من والدها كنيراس، وحبيب عشتروت، وتنسب قصته إلى منطقة جبيل. والاسم يعني «السيد»، وليس اسم علم. يروي قصته أوفيد. وهو أنه فتى كان فائق الجمال أغوى الإلاهة، فتركت السماء لأجله وراحت تتجول معه في رحلات الصيد وتشجعه. جرح مرة خنزيراً شرساً فارتد عليه وقتله بنابه (٥٢٠:١٠-٧٣٩). وكانت له طقوس حزن، تمثل سنوياً في أماكن متعددة. كما كانت تقام طقوس «الأورجي» على شرف أدونيس وموته وقيامته، كما يخبرنا لوقيان السميساطي. ومن هذه الطقوس كان يعلن حداد عام مع بكاء وضرب صدور وإعلان موت أدونيس وجنازته، ومن ثم تعلن قيامته في اليوم التالي. وكانت النساء يقصصن شعرهن. ومن لا تقص شعرها يكون عليها أن تقدم نفسها للغرباء في المعبد طوال يوم كامل ولقاء أجر يقدم لمعبد أفروديت (ف ٦).

وطقوس موت أدونيس وقيامته لا تختلف عن طقوس «دموزي» في أرض الرافدين وأوزيريس في مصر، بل كما يبدو، هي ذاتها كطقوس حضارة كانت تعم المنطقة. وهي طقوس البعل كما تصورها كتابات «أوغاريت». ورمز أدونيس هو شجرة الصنوبر. وسلاح ديونيسوس (طيرزي) ينتهي رأسه بشكل «كوز» الصنوبر. ويرى أستور (ص ١٨٧) أن اسم السلاح ذاته يفيد معنى الخمر بلغة الكنعانيين ولعله إله الخمر (ت ر ث) كما يقول.

(٥٣) الألواح اللاتينية، يعني بها هنا ألواح التشريعات الرومانية. وهذا ما اختصت به بيروت في العهد الروماني. وما يكمن خلف هذه الإشارة هو إطلاع نُنّوس على خبر الوصايا العشر التي تلقاها موسى مكتوبة على لوحين (خروج ١٨:٣١). وحيث النص يشير إلى التنبؤ بالمستقبل فإن المعروف في العقائد البابلية أن «طوابع السمات» تكتب من قبل الإله لتعيين المستقبل المقدر لكل كائن. وكان الإله يجدد هذه الألواح كل سنة، فيكون في كل سنة يوم فراغ وفوضى وإباحة، دون قوانين ومبادئ، يتم فيه احتفال عيد باسم «أكيتو» هو رأس السنة البابلية، أي يوم تجديد أقدار الناس.

(٥٤) Themis هي ابنة الأرض وأخت رحيه وثيا وتيثس، حسب هزيود (مولد الآلهة ١٣٥)، وطاميش تعتبر أم الفصول، حسب بوزانياس (١٧:٥، ١)، وكانت لها موهبة النبوءة فأعطتها لأبولو (٥:١٠، ٣). ومنها ولد النظام والسلام والعدالة (٣:١، ٦). وهي تقرر الصالح والسيئ للناس (مولد الآلهة ٩٠١). ويعرفها أوفيد بأنها «مفسرة القدر وسيدة الوحي ونصيرة العدالة» (٣٢١:١)، وهي تمارس النبوءة (٤٢١:٩).

لقد كانت تحمل بيدها تشريعات «سولون»[٥٥].

تحت ضغط الجهد الشاق اتكأت بثقلها على الإلاهة المدبِّرة، وخلال الألم أعطت «القبرصية» للعالم وليدتها الحكيمة، فوق «الكتاب الأتيكي»[٥٦]، كما تفعل نساء «لاكونيا»[٥٧] اللواتي يضعن أطفالهن فوق درع مستديرة من الجلد.

لقد ولدت طفلتها الجديدة من رحمها الأمومي بمساعدة القاضي هرمس الذي قام بدور القابلة، مع أنه رجل.

هكذا ظهرت الطفلة للنور.
لقد استحمت الفتاة بالرياح الأربع التي تنتقل إلى جميع المدن لتملأ الأرض بمبادئ بيروي.

وكان أوقيانوس الرسول الأول لتشريعات الطفلة الوليد.
إنه يرسل أمواجه إلى أسرَّة الأطفال، يلف بها خصر العالم كحزام من ماء، دائم التدفق.
والزمن المعاصر له، بيديه الدهريتين، كان يلف الطفلة المولودة بثوب من العدالة، متنبئاً بالأشياء التي ستحدث.

وفي الأوديسية يستحلف ابن أوديسيوس والدته بزوس وطاميس أن تنهي أمر خطّابها المزعجين (٢:٦٨).
وهنا نذكر بوجود منطقة في لبنان فيها دير يدعى «دير طاميش».

(٥٥) Solon رجل دولة إغريقي وشاعر، حرَّر الفقراء وأرضهم بتشريعات وضعها، ومنع الاستدانة برهن حرية الإنسان. وبذلك ألغى العبودية في «أتيكا» (بلاد الإغريق). كما هو منح الجنسية للصناعيين، وأعطى الشعب حق مراقبة حكامه. وأصدر تشريعات حدد فيها مسؤوليات الحكام وحقوق المواطنين. وكان قد زار مصر وقبرص وآسيا الصغرى للإطلاع على حضارتها. عاش بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد.
وحسب أرسطو في كتابه «السياسيات» جعل مجالس القضاء من الحكم الشعبي؛ وقضى على حكم الأقلية (١٢٧٣ ب).
وقد نقل عنه أفلاطون ما كان نقله عن كهنة مصر حول وجود قارة «أطلنطى» الغارقة (سترابو ٣:٢، ٦). وذكره ديودورس الصقلي بأنه يمارس الفضائل ويطلع على جميع المعارف ويرافق الحكماء منذ صغره (١:٩، ١).

(٥٦) الكتاب الأتيكي هو مجموعة شرائع سولون. وهذا تذكير بدور بيروت في التشريع، بالإضافة إلى الحكمة التي خصها بها «هرمس»، وهو بدور القابلة للشرائع المستجدة.

(٥٧) Laconia اصطلاح لاسم لاكيديمونيا، أي إسبرطة، المدينة التي اشتهرت بالتربية الحربية والتقاليد الحربية بين الإغريق.

لقد أراد التخلص من عبء العمر،
كما تفعل الحية حين تتخلص من
جلدها القشري الضعيف وغير النافع،
من أجل أن تنمو فتوته عند
الاستحمام بأمواج الشرائع[٥٨].
غنَّت الفصول الأربعة معاً مترنمة،
عندما ولدت أفروديت ابنتها المدهشة.

* * *

لقد جنَّت الحيوانات من الفرح،
عندما علمت أن «البافية» ولدت
طفلتها بسلامة.
– الأسد، بدعابة مرحة، لامس
بفمه، وبنعومة، رقبة الثور. وأطلق
زمجرة صديقة من بين شفتيه.
– والحصان أخذ يضرب الأرض،
فترتج تحت حافره المستدير، وهو
يوقع لحن الولادة.
– والفهد المرقط، بدأ يثب في
الهواء، وببراثن منكمشة، يتجه نحو
الأرنب.
– والذئب، أخذ يعوي عواء
النصر، من حنجرة سعيدة، وهو يقبل
النعجة بفكين مسالمين.
– وكلب الصيد، تخلَّى عن
مطاردة الظبي في الآجام. وقد التزم
هواية أخرى، هي أن يرقص، منافساً
خنزيراً يرقص في جواره.
– والدب، رفع قائمتيه
الأماميتين، ووضعهما حول عنق
عجلة، معانقاً لها بضمة، لا أذى
فيها.

(٥٨) إنه تصور فلسفي شديد التفاؤل بمستقبل التشريع في العالم. فهنا يتصور الشاعر أن تجدد العالم وتقدمه نحو فتوة جديدة يكون بطريق التشريعات القانونية وليس بغيرها.

– والبقــرة، بوثبــات رياضيــة
متتابعة، أدارت رأسها بحنو وراحت
تلحــس جســد لبــوءة، بينمــا شــفتاها
كانتا تطلقان نصف خوار.
– والأفعى لامست بمحبة خرطــوم
الفيل.
– وكـــانت الأشـــجار تـــترنم
بهسهسات[٥٩] ...

* * *

وببسمة هادئة على وجهها المتــألق
ضحكت أفروديت، عندمــا رأت هــذه
الألعاب من الحيوانات احتفاءً بــولادة
ابنتها.
وأدارت عينيهـــا في مختلـــف
الجهات تجول بنظراتها.
وحدها الخنازير لم تكن تريد النظر
إلى أفراحهــا، لأنهــا كـــانت تعــرف
نبــوءة تقــول: أن «أرويــس» تحــت
صورتهــا وبفنطيسته، كـــان يحمــل
الموت، كقدر يحوكه لأدونيس، بفعــل
جنون الغيرة.
والعذراء «أستــرايا»، مرضعــة العــالم
جميعــاً، مربيــة العصــر الذهبــي[٦٠]،
تلقــت بــيروي مــن والدتهــا بــين
ذراعيهــا، واحتضنتهــا، وهــي طفلــة
ضاحكــة، وقــد غذتهــا مــن ثــدي
الحكمة، بينما كانت تناغي بكلمــات
الشرائع.

(٥٩) لا بد مـن الإشـارة هنـا إلى أن هـذا التصـوّر للسـلام ورد لـدى أشعيا في قولـه: «فيسـكن الذئـب مـع الخـروف ويربـض النمـر مـع الجـدي والعجل والشبل والمسمَّن معاً، وصبي صغير يسوقها. والبقرة والدبة ترعيان وتربض أولادهما معاً. والأسـد كـالبقر يـأكل تبنـاً، ويلعـب الرضيـع على سَرَب الصل ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان (١١:٦٠).
وهـذه الرؤيـا وردت في الـتراث السـومري القديـم الـذي يحـدد أرض «دلمون»، أي البحرين، حيث لا ينعق الغراب... والأسد لا يقتـل والذئـب مسالم للحمل، والكلب القاتل غـير موجـود، ولا توجـد أرامـل، ولا يقـول رجل عيني مريضة أو رأسي يؤلمني، ولا تقول العجوز أنا عجوز، ولا ينـوح النائحون (انكي وننهورساغ).

(٦٠) Astraia هي ابنة طاميس من زوس. وصفها أوفيد بأنها آخر الضيـوف السـماويين العـذراء «أسترايا»، تركـت الأرض مخضَّبـة بالدمـاء (١:١٥١).

من حليبها العذراوي كانت تتدفق
غدران من التشريعات إلى شفتي
الطفلة، فتدخل إلى فم الفتاة، حلوة
كنتاج نحل «أتيكا».
لقد عصرت عمل النحل المدهش
من عدة خلايا، ومزجت أقراصه في
كأس من الحكمة والفصاحة[٦١].
وعندما كانت العطشى تطلب
الشرب كانت تعطيها ماء «بيثيا»[٦٢]
الفصيح الموقوف لأبولو، أو من ينبوع
«إليسوس»[٦٣]، الموحى به من ربات
شعر أتيكا، عندما تهب لفحات
«فويبوس»[٦٤] على السفح.
لقد جاءت بضمة السنابل الذهبية
من النجوم وصنعت منها عنقوداً،
طوقت به عنق الفتاة بشكل عقد.
وقامت الأورخومينيات، تابعات
«البافية» الراقصات بجلب المياه من
العين الذكية، العزيزة على ربات الشعر
التسع[٦٥]، من أجل استحمامها.

* * *

لقد نمت بيروي ودرجت برفقة
رامية السهام، حاملة شباك الصياد،
سيدها.
كانت تشبه تماماً والدتها البافية
بقدميها اللامعتين[٦٦].
وعندما برزت «ثيتس»[٦٧] من
البحر، قافزة بقدم ثلجية راقصة،
رأت قدماً فضية لثيتس أخرى،
فاختبأت خجلاً، خوفاً من سخرية
«قصيوبيا»[٦٨] مرة أخرى.

(٦١) يشير هنا إلى تنوع مصادر الشرائع في مدرسة بيروت الحقوقية، مؤكداً على انتقاء ما تقتبسه وإضافة ما يجعله واضحاً وحكيماً.

(٦٢) Pythia الاسم القديم لمنطقة «دلفي» مركز الوحي الأول في بلاد الإغريق. وقد ارتبط بها اسم أبولو، إله الشعر والفصاحة والفن. وتسمت باسمها ألعاب ومباريات كانت تقام كل أربع سنوات. ومن مشتملاتها مباريات الغناء، حسب بوزانياس (١٠:٧، ٢).

(٦٣) Elissos نهر في أتيكا (سترابو ٩:١، ٢٤ وأبولودورس ٣:١٥، ٢).

(٦٤) Phoibos ابنة السماء والأرض المتوجة بالذهب، حسب هزيود (مولد الآلهة ١٣٦). وهي والدة استيريا ولاطونا من كويوس، حسب أبولودورس (١:٢). ويبدو أن اسمي ابنتيها هما: عشتار واللات، بلفظ محرف قليلاً. ويقصد الشاعر هنا بلفحات «فويبس» شوقها لزوجها، حيث، حسب هزيود، هي التي لاحقته (مولد الآلهة ٤٠٤).

(٦٥) Muses هن ربات الشعر والوحي اللواتي علمن هزيود الشعر. وهن متشابهات، تسع كأنهن واحدة، يعشن فوق الأولمبس ومعهن «الرغبة» و«المنعّمات» يعشن بسعادة ويمجدن القوانين، وهو يعدد أسماءهن (مولد الآلهة ٢٥–٩٥).
أوكل لهن زوس وظائفهن: العلم والشعر والفلسفة، حسب الأوديسية (٨:٤٨٨ والإلياذة ٢:٥٩٧). وقد كانت لهن معابد في مختلف بلاد الإغريق.

(٦٦) يشير هنا إلى إحاطة غابات الصنوبر ببيروت، حيث فيها تعيش «ديانا»، رامية السهام. والصياد هنا هو أدونيس والبافية هي عشتارت–أفروديت.

(٦٧) Thetis هي إحدى النيريات البحريات. ونجدها في الإلياذة ترثي أخيل بوصفه ابنها من بيلاوس (١:٣٥١ و١٨:٥٥). وحسب بوزانياس كان لها معبد وتمثال في لاكونيا (٣:١٤، ٥، ٢٢، ٢). وهي تملك قوة سحرية توجد بها حيوانات قاتلة (٥:١٨، ٥). وترد في الإلياذة كمنقذة لهيفايستس الأعرج، عندما طردته والدته من السماء لعرجه (١٨:٣٩٧). وهو أنتج خلال رعايتها له الكثير من الأعمال الفنية. ويصفها بذات القدم الفضية في الإلياذة (١٨:٣٨١). ولهذا هو يشبه بيروي بها.

(٦٨) Cassiepeia قصيوبا، هي زوجة كيفاوس (كيفا) ملك يافا الكنعاني ووالدة أندروميد (أبولودورس ٢:٤، ٣) التي أنقذها «بيرسيوس» من الوحش البحري (٤:٣٥، ٩) وسترابو (١٦:٢، ٢٨). وقد رأى فريزر أن الموقع الذي ربطت فيه أندروميد في البحر هو صخرة «رأس الناقورة» في الجنوب اللبناني. وهكذا تكون بلدة «دير كيفا» تحمل اسم الوالد وبلدة «القصيبي» تحمل اسم الوالدة. والوالد هو أخو أغنور، والد قدموس الصوري.
وقصة قصيوبا هنا هي أنها تحدت النيريات بجمالها فغضبن، وأرسل بوزيدون الوحش للانتقام منها، فاقترح عليها الإله «أمون» تقديم ابنتها لإرضائه، فأنقذها البطل برسيوس وخطبها، فعارضه عمها. وقد لجأت والدتها إلى بلدة «صريفا» حسب أبولودورس (٢:٤، ٣).

وعندما رأى «زوس» فتاة «أسِّيرية»
أخرى، بدون زواج، اضطرب مرة
ثانية وود لو يغير شكله.
وبالتأكيد كان سيفعل ذلك تحت
عبء الحب ليصبح بشكل ثور،
ينزلق بأرجله في الماء، مسرعاً، يحمل
فوق ظهره المرأة، دون بلل، لو لم
يكن العرس الصيدوني[٦٩] في ذاكرته،
ولو لم يكن هو الثور الأولمبي، عريس
أوروبة، يخور من بين النجوم من
حنجرة تملأها الغيرة.
فقد كان يدرك أن عليه أن يضع
في الفضاء نجماً آخر لمحبي أسفار
البحر، ويكون صورة أخرى، منافسة
لكوكب «الثور» في الأعالي.
وهكذا، تخلّى عن بيروي التي
كان قدرها عرساً مائياً، كشريكة
سرير لأخيه، حيث لم يشأ أن يثير
خلافاً مع مزلزل الأرض، حول زوجة
ليست من الخالدين...
- تلك كانت بيروي، زهرة
المنعّمات. وعندما تكلمت كانت رنّة
صوتها أكثر عذوبة من العسل وأقراصه،
وكأن «الإقناع» كان يقيم دائماً فوق
شفتيها، تغري الأكثر ذكاء من الرجال
الذين لا يستطيع شيء إغراءهم.
عيناها الباسمتان تفوقان بريقاً جميع
رفيقاتها الفتيات «الأسّيريات»، عندما
يطلقن سهامهن للحب، فهي الأكثر
تألقاً بالمواهب، تماماً كالقمر عند
اكتماله، لما يتألق بأشعته، بدون
ضباب، فيحجب النجوم حوله.

(٦٩) العرس الصيدوني هو عرس أوروبه وزوس. وتنسب أوروبه إلى أرض صيدون مع أنها من صور (أوفيد ٦:١٠٤). وقد كان اسم الصيدونيين يطلق على الفينقيين القدماء بوجه عام.

ثيابها البيضاء تنسدل حتى أقدامها، وتبرز من خلالها أعضاؤها الوردية اللون.

ولا عجب في ذلك إذا كان لها مثل هذا البهاء بين رفيقاتها، ما دامت على وجهها تبدو السمات اللامعة لإبداعين التقيا فيها[70].

وعندئذ رأتها القبرصية، مثقلة بذكاء نبوءة، فأرسلت مخيلتها تجوب العالم برقة، يتفحص عقلها جميع أنحاء الأرض، مستعرضاً أساسات المدن البارزة في الأيام القديمة.

– رأت «مكينا»[71] محاطة باكليل من الأسوار، من بناء العمالقة (سكلوب)، بحيث غدا اسمها مكينا اللامعة العينين.

– وطيبة أخرى، تحمل اسم طيبة الأصلية المجاورة للنيل في الجنوب.

وقررت أن تصمم لمدينة على اسم «بيروي» وكانت تتملكها رغبة في أن تجعل مدينتها مثل تلك المدن العظيمة.

لاحظت هناك نص قوانين «صولون» التي تحفظ الناس من الخطأ.

استدارت بعينيها نحو شوارع «أثينا»[72] العريضة، وحسدت شقيقتها لكونها قاضية للعدالة.

(٧٠) يبدو أن الإبداعين المقصودين هنا هما مجموعة شرائع صولون ومجموعة شرائع ليكورغ الإسبرطي. أو أن المقصود بهما هو إبداع الكتابة وإبداع التشريع.
كما لا نستبعد أن يكون المقصود بهما وجود مشرعين مشهورين في زمنه من أساتذة مدرسة حقوق بيروت – لكن ذلك غير واضح.

(٧١) Mycene مكينا، اسم لعاصمة حضارة قديمة تعرف بالحضارة بالمكينية، والاسم ليس يونانياً. وهي كانت عاصمة لاغاممنون. وقد دمرها الأرجيف تماماً، حسب سترابو (٨:٦، ١٠). وهي كانت مزدهرة بين ١٤٠٠ و١١٥٠ ق.م. وحسب ديودورس الصقلي فإن الإسبرطيين حاصروا المدينة ودمروها، وباعوا أهلها للعبودية ودفعوا عشر ثمنهم للآلهة (١١:٦٥).

(٧٢) Athens هي أشهر عاصمة إغريقية. وضع شرائعها «صولون» وكانت مركزاً عالمياً لتطور الفكر الفلسفي والعلم في العصور القديمة. اشتهرت بكونها مركزاً لأكاديمية أفلاطون ولليكيون أرسطو، وهما أشهر مدرستين، لا زلنا نطلق اسميهما على المدارس والكليات العلمية في أيامنا.

وبخطوة خاطفة اجتازت قبة
الفضاء إلى حضرة أم الجميع
«هرمونيا»[٧٣]، حيث تقيم تلك
الحورية في بيت من بناء الطبيعة،
يمثل ببنائه جنبات العالم الأربع،
مجموعة معاً في وحدة:
أربعة أبواب من البناء الصلد،
مفتوحة باتجاه الرياح الأربع التي
تعجز عن هزِّها.
تحمي الهرمونيات هذا المقر من
جميع جوانبه المستديرة كصورة
الأرض. وتحمل الأبواب أسماء:
– «أنطوليا»[٧٤] الفتاة الموكلة
بالباب للريح الشرقية.
– و«ديزي»[٧٥]، مرضعة سلينى
الموكلة بالريح الغربية.
– و«ميزامبرياس»[٧٦]، تحفظ
المزلاج الحار للجنوب.
– و«أركتوس»[٧٧]، الدب الأكبر،
هو الخادم الموكل بفتح باب الشمال،
حيث تتكاثف الغيوم ويتساقط البرد.
إلى ذلك المكان تقدمت
«خاريس»[٧٨] المرافقة لابنة الزبد
(أفروديت)، ودقت على الباب
الشرقي لإيروس.
وحيث كان الطرق على الباب
الأصفر لشروق الشمس أسرعت
«أستينوميا»[٧٩] من الداخل، فرأت
القبرصية تقف أمام البيت، وعادت
على كعبها لتخبر سيدتها بالموضوع.

(٧٣) Harmonia هي ابنة أفروديت من إله الحرب «أرويس» وزوجة قدموس. وقد احتفل الآلهة بعرسها، تاركين السماء من أجل الإنشاد فيه، حسب أبولودورس الذي ينقل عن «فريسيد» أنها تلقت عقداً، هدية زواج من أوربه، أخت زوجها. وقد ولد لها بنات، هن: عوطونوي وإينو وسميله وأغافيه، وصبي يدعى بوليدورس (٣:٤، ٢). ويسمي الشاعر يوريبيدس الآلهة الذين حضروا العرس «الأورانيات» أي السماويات (الفينيقيات ٨٢٤). وهو أشار إليها باسم «أم الجميع» أي أم جميع ملوك «قدميا»، خلفاء قدموس.

ويذكر ديودورس الصقلي هدايا الآلهة لهرمونيا (٥:٤٩، ٢). وفي زمن بوزانياس، أي في القرن الثاني للميلاد، كان أبناء «طيبه» يشيرون إلى بيت قدموس، وإلى غرفة عرس هرمونيا، وجناح ابنتهما «سميله»، حيث كانوا يحرمون دوس الناس فوق المكان (٩:١٢، ٣).

وهو يذكر أن هرمونيا أوقفت تمثالاً لأفروديت، مصنوعاً من خشب سفينة قدموس، وأنها هي التي أعطت أفروديت الصفات التالية: السماوية للحب التقي البعيد عن إغراء الجسد، الشعبية، المبعدة للشر (٩:١٧، ٢).

(٧٤) Antolie الكلمة تعني «الشرق».

(٧٥) Dysis الكلمة تعني «المغيب».

(٧٦) Mesembrias وردت الكلمة كاسم لساعة الظهر.

(٧٧) Arctos اسم الدب.

(٧٨) Charis تذكر الإلياذة أنها زوجة هيفايستس وقد وصفها هوميرس بذات الغلالة اللامعة، الإلاهة المحبوبة (١٨:٣٨٢ - ٣٩٣).

(٧٩) Astynomieia هو لقب للمسؤولة عن تنظيم الطرقات وصيانتها في الدول الأيونية.

كانت عندئذ مشغولة تنسج بنولها رداءً مطرزاً لأثينا.
وعلى الثوب الذي كانت تحوكه، كانت قد رسمت صورة للأرض في الوسط. وحولها جعلت الفضاء مرصعاً بالكواكب.
وجعلت البحر ملاصقاً للأرض، محتضناً لها.
ورسمت بالتطريز الأنهار باللون الأخضر، جاعلة لكل منها وجه إنسان له قرون ثور[٨٠].
وعلى الطرف الخارجي للنسيج المتقن الصنع جعلت الأوقيانوس يلتف حول الأرض بحزام مستدير.
جاءت الفتاة إلى حيث يوجد النول النسائي. وأعلمت السيدة أن أفروديت موجودة على باب البيت.
ولما سمعت الإلاهة ذلك ألقت من يدها الخيوط وألقت الثوب الألوهي على النول.
وبسرعة لفت جسمها بثوب أبيض كالثلج.
غدت أكثر لمعاناً من الذهب، عندما جلست فوق عرشها، تنتظر «قيثيرا».
وعندما بدت أفروديت قريبة، قامت عن عرشها لتقدم لها الاحترام اللائق.
قادت «أورينوم»[٨١] بثوبها الطويل، «البافية» إلى مقعد قرب سيدتها.

(٨٠) هذا الرمز خاص بالإله زوس. وهو مأخوذ من أرض الرافدين، حيث كانت القرون شعاراً للألوهة. وهو صنف الأنهار بأنها آلهة.

(٨١) Eurynome هي ابنة أوقيانوس. وقد أنقذت هيفايستس بمساعدة ثيتس فاشتغل لديهما تسع سنوات، أنتج خلالها أعمالاً فنية عديدة (الإلياذة ١٨:٣٩٨).

وهرمونيا، مرضعة العالم، رأت النظرات المضطربة والوجه القلق للقبرصية، مما يشير إلى انزعاجها، فرحبت بها بصوت صديق وسألتها:

«قيثيريا، أرومة الحياة، وبذرة الكائنات، وقابلة الطبيعة، وأمل العالم جميعاً، حسب إرادتك تحوك الأقدار العنيدة خيوطها! (قولي لي ما يزعجك).»

«... أجيبي من يسألك، وقولي لي، أنت يا مغذية الحياة، ومرضعة الخالدين، ورفيقة العالم ابن جيلك.

«أية مدينة بين المدن لها نبرة صوت تناسب للسلطة؟

«أية منها لها سمة التشريع الذي يحل المشاكل؟

«أنا التي جمعت بين زوس وحورا أخته برباط زوجي، عندما شعر بوطأة شهواته المزمنة بعد أن كان يتحرّق لها طوال ثلاثمئة عام:

«لقد أحنى رأسه الحكيم، اعترافاً بذلك، ووعد، كمكافأة على ذلك الزواج، أن يوقف مبادئ العدالة لمدينة تنتسب لي.

«وأردت أن أعرف إذا كانت الهدية هي لأرض قبرص، أو بافوس، أو كورنثيا، أو إسبرطة، حيث كان قد برز «ليكورغ»، أو أنها لبلد النبلاء، لابنتي بيروي.

«أتمنى عليك الاهتمام بالعدالة وضمان الانسجام في العالم، أنت، هرمونيا منقذة الحياة!

«إني مرسلة، إلى هنا بسرعة من قبل عذراء الكواكب ذاتها، حاضنة رجال القانون[٨٢].

«وما هو أكثر من ذلك هو أن هرمس محب الشرائع، منحني هذا الشرف وحدي، كي أساند قوانين الزواج، وأحافظ على الرجال الذين زرعتهم.»

وعلى هذه الكلمات أجابت الإلاهة بخطاب مشجع:

«كوني فرحة ولا تخافي يا أم كل حب، فأنا، لدي وحي عن التاريخ على سبعة ألواح، والألواح تحمل أسماء الكواكب السبعة.

«الأول، يحمل اسم سيلينى المستدير.

– والثاني، باسم هرمس، لوح لامع من الذهب، مكتوبة عليه جميع أسرار القانون.

– والثالث، يحمل اسمك، وهو وردي اللون، لكونه له شكل كوكبك في الشرق.

– والرابع، هو لهيليوس، المتوسط بين الكواكب السبعة السيَّارة.

– والخامس، يدعى «أرويس» وهو أحمر متوحش.

– والسادس، يدعى «فايتون» وهو كوكب كرونيديا.

– والسابع، يظهر اسم كرونوس السريع الحركة.

(٨٢) عذراء الكواكب: حامية الفنون والقانون والعلوم، هي «أثينا».

«فوق هذه حفر أوفيون القديم[٨٣]، بحروف حمراء، جميع أقدار العالم.

«أما إذا سألتني عن القانون القيادي، فقد احتفظت بهذا الامتياز للمدينة الأقدم.

«فهل تكون «أركاديا» هي الأولى؟ أم مدينة «حورا» (أرغوس)؟ هل هي ساردس الأقدم؟ أم أنها طارسوس، المشهورة في الأغاني؟ أم غيرها؟ لا أعلم، ولم يعلمني أحد.

«إن لوح «كرونوس» سيعلمنا كل ذلك، وأية مدينة نشأت، وأية منها هي معاصرة للفجر.»

قالت ذلك وسارت باتجاه ألواح القدر، على الجدار، فوصلت إلى المكان، حيث حفر «أوفيون» بالأحمر القرمزي، فوق لوح كرونوس، الوحي الخاص بأرض بيروي.

«بيروي» جاءت أولاً، ابنة جيل العالم، المعاصرة له، هي تحمل اسم الحورية المولودة أخيراً التي استعمرها أبناء «أوزوني»[٨٤]، القنصل الروماني، وأسموها «بيريتس»[٨٥]، وهي مجاورة للبنان...

ذلك كان كلام النبوءة الذي تعلمته.

ولكن، عندما استعرضت الإلاهة المبدأ الإلهي للوحة السابعة، التفتت إلى لوحة ثانية على جدار مجاور، حيث رأت إشارات غريبة، محفورة بفن مختلف وكلام وحي:

(٨٣) Ophion هو زوج أورينومي. وكان يحكم العالم قبل كرونوس. وقد حل كرونوس محله، وحلت «رحيه» محل أورينومي، حسب أبولونيوس رودس. وهو سقط من الأولمبس الثلجي إلى مياه الأوقيانوس (٥٠٣:١)، ولهذا وصفه بالقديم. وينسب أوزابيوس في كتابه «الاستعداد للحياة الإنجيلية»، مذهباً تفسيرياً للكون أعلنه الإغريقي فريسيد يرتكز على اعتبار «أوفيون» هو بشكل أفعى خالق للكون (١٠:١، ٥٠).

(٨٤) Ausonia هو سهل خصب بين سلسلة جبال «الأبنين» والبحر التيراني. ويقع فيها أفضل الموانئ. والسهل يحمل اسمه من قبيلة «الأوزون» التي كانت تقيم فيه. ويذكر ديودورس الصقلي ملكاً قديماً باسم «أوزون» (٧:٥، ٥) وتدعى «أرض أوزوني» على لسان وحي أبولو الذي نصح بإنشاء مدينة فيها هي «ريجيوم» (٢٣:٨، ٢).

(٨٥) Berytos هو الاسم الروماني لمدينة بيروت. وقد فسره بعض المؤرخين بأنه صفة لمنطقة تكثر فيها الآبار، حسب المدلول السامي الكنعاني للكلمة.

كيف أن الراعي الأول «بان» ابتكر «الشبابة»، و«هرمس» الهليكوني ابتكر العود، و«هياغنس»[٨٦] الحنون ابتكر موسيقى الأقصاب المزدوجة «المجوز»، مع ثقوبها المتقنة، و«اورفيوس»[٨٧] ابتكر ألحان الأغنية بصوت إلهي، و«لينوس»[٨٨] ابن أبولو[٨٩] الخطاب الفصيح.



أورفيوس يلتفت إلى الخلف

– وكيف أن «أركاس»[٩٠] الجوال وجد مقياس الشهور الاثني عشر ودائرة الشمس التي هي أم السنين، وكيف تتقدم بها بعربتها ذات الجياد الأربعة.

(٨٦) Hyagnis هو والد مارسياس، ذهب إلى فريجيا لابتكار المزمار المزدوج، حسب حاشية الكونت دي مرسيلس (رقم ٣٢).

(٨٧) Orpheus هو واضع المذهب الأورفي، ينسبونه إلى تراقيا. وقد اشتهر في بلاد الإغريق كمغنٍّ ميتولوجي يقال أنه كان يجذب الأشجار والحيوانات المتوحشة، وحتى الحجارة لسماعه. وأشهر أسطورة وأقدمها تنسب له هي أن زوجته «يوريديس» ماتت بلدغة أفعى سامة، فهبط إلى العالم الأسفل، عالم الأموات وأقنع المسؤول عن ذلك العالم بأن يسمح له باستعادتها، فاشترط هذا عليه أن يجعلها تتبعه، شرط أن لا يلتفت إلى الخلف حين صعوده، وقد فعل. لكن رواية أخرى للأسطورة تقول أنه لم يستطع إلا الالتفات للتأكد من لحاقها به، وعندما التفت عادت امرأته إلى عالم الأموات (أوفيد ١٠:١-٨٠).

والمذهب الأورفي المنسوب له هو مذهب فلسفي يتضمن نظرية تكوين للعالم ومجموعة الآلهة فيه ويدعى ديونيسوس بينها باسم «زغروس» أي الصغير. وقد ازدهر الدين الأورفي بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد. ويبدو أن النظرية تعود إلى أصل كنعاني ما دام الإله الأعظم فيها هو «ديونيسوس» ولقبه «الأصغر».

ويرى ديودورس الصقلي أن أورفيوس كان معاصراً لهرقل. وكلاهما عاش قبل مئة سنة من حرب طروادة. وهو قرأ على حجر كتب عليه أورفيوس أنه عاش بعد زمن «هلينوس» بقليل (١:٧، ١) كما يذكر أنه تدرب على يد أحفاد قدموس في طيبه (١:٢٣، ٦).

(٨٨) Linus هو صوت ترنيمة الندب الفينيقية في الأساس (ويلنا)، حسب رأي فريزر في «الغصن الذهبي» (ف ٤٧). ثم أصبح ترنيمة لمختلف المناسبات. كما تذكر الإلياذة «لحن لينوس الجميل» (١٨:٥٧٠).

ويجعل ديودورس الصقلي لينوس شخصية تاريخية، ومن تلامذته هرقل وتاميراس وأورفيوس. وقد قتله هرقل بضربه بالعود لأنه عاقبه بقضيب. وهو ينسب له أنغاماً مختلفة، مع نقله للحروف الأبجدية التي أحضرها معه قدموس إلى اللغة الإغريقية، معطياً كل حرف صورة واسماً. كما هو كتب عن مغامرات ديونيسوس وأساطير أخرى (٣:٦٧، ٦).

ويذكر بوزانياس أن «سافو» الشاعرة كانت تنظم ترانيم لأدونيس ولينوس معاً باسم «أويتولينوس» (٩:٢٩، ٣). وهذا يعني أن اللحن كان للبكاء على أدونيس، مع ترداد كلمة «لينوس لينوس» أو «ويلنا ويلنا».

كما جرت تسمية ابن بسماتي الذي مزقته الكلاب «لينوس»، حسب بوزانياس (١:٤٣، ٧ و٢:١٩، ٧).

(٨٩) Apollo شخصية معنوية هامة لدى الأوروبيين، حيث يطلق الكثيرون من المفكرين على الحضارة الغربية المعاصرة تسمية «حضارة أبولو»، مقابل الحضارة الشرقية «حضارة ديونيسوس». وهو حسب هزيود ابن «ليطو» من زوس، ولد في اليوم السابع من الشهر (الأعمال والأيام ٧٧١). وقد كان يحمي الطرواد، حسب الإلياذة (١:٧). وحسب هيرودت هو الذي أوحى بتشريعات ليكورغ (١:٦٦)، كما هو الذي يحافظ على المعاهدات والسلوك الأخلاقي (٦:٨٦). وهكذا يكون أبولو راعي التقدم الحضاري بواسطة وحي دلفي.

هو ابن ليطو وزوس وأخو أرطميس. وقد ولد في ديلوس حسب أبولودورس (١:٤). وينقل ديودورس الصقلي عن المصريين أن أبولو هو ذاته حورس لديهم (١:١، ٢٥). وهو أول عازف على العود (٣:٥٨، ٢). وكان الصيدونيون يعتبرونه الشمس ذاتها حسب بوزانياس (٧:٢٣، ٦).

(٩٠) Arcas هو مبتكر علم النجوم في أركاديا، ومنه جاء اسم البلاد. وكان يتجول، ملاحقاً الوحوش المفترسة في الغابات. فعرف أن أمه دبّة. وقد أخذهما زوس ووضعهما في نجم الدب، حسب أبولودورس (٣:٨، ٢).

– وكيـــف أن «إنديميـــــون»[٩١]
الحكيم، بتغيير في عقـدات أصابعـه،
يحسب مواقع سلينى (القمر) الثلاثة.
– وكيـــف أن قدمـــوس ركـــب
الحروف الصوتية مع المتحركة، وعلّم
أسرار الكلمات الصحيحة[٩٢].
– وكيف أن صولون وضع القوانين
التي لا يمكن اختراقها.
– وكيـف أن «كيكـروب» وضـع
أسـاس اقـتران اثنـين بـزواج مقـدس
يتماشى شرعياً مع مشعل أتيكا.
بعـــد تـــأمل هـــذه الإبداعـــات
للملهمات، استعرضت الباقية الأعمال
المتنوعة لمختلف المدن.

وعلى الألواح المكتوبة، الموجودة في
وسـط دائـرة العـالم، وجـدت كلمـات
الحكمة هذه مكتوبة باليونانية شعراً:
«لما أوغســطوس[٩٣] سـيقبض علـى
صولجـــان العـــالم ســـيعطي زوس
الأوزوني[٩٤] السـيادة لرومـا الإلهيـة،
وبـيروي، سـيعطيها زمـام القوانـين،
بعد أن تقدم سفنها المدرعـة الحربيـة
وتبطل ثورة كليوباطرا[٩٥].
قبل ذلك، لم يكن العنـف ينقطـع
عـن المـــدن المســالمة، إلى أن كـــانت
بـيروت، حاضنـة الحيـــاة الهانئـــة،
ففرضـــت العدالـــة للــــبر والبحـــر،
وحصّنـت المـدن بسـور لا يهـتز مـــن
القوانين. مدينة واحدة غدت لجميـع
مدن العالم.»

(٩١) Endymion حسب أبولودورس كان جميلاً فاتناً فوقعت بحبه إلاهة القمر. وسمح له زوس بأمنية يحققها له، فتمنى أن ينام إلى الأبد دون أن يشيخ (١:٨، ٥) وأبولونيوس رودس (٤:٥٧).
وحسب بوزانياس ولدت له إلاهة القمر خمسين ابنة (٥:١، ٣). ويرى غريف في هذه الأسطورة تسجيلاً لغزو الايوليين لمدينة «إيليس» وزواج ملكهم بكاهنة معبد القمر.

(٩٢) هذه إشارات هامة إلى أن قدموس هو الذي أدخل الحروف الصوتية إلى الأبجدية في بلاد الإغريق، مع العلم أن هيرودت اكتفى بالقول أن قدموس عدّل الحروف لتتفق مع اللغة اليونانية (٥:٥٨). ويعتبر إدخال الحرف الصوتي على الأبجدية الفينيقية من أهم إبداعات الكتابة. وهو ما لم تنجزه الكتابات السامية على اختلافها حتى اليوم.

(٩٣) Augustus هو لقب لأباطرة الرومان ويتضمن مدلولاً دينياً. وقد لقب به بعض الأباطرة زوجاتهم. وكان أول من حصل عليه من مجلس الشيوخ «أوكتافيوس» سنة ٢٧ ق.م. وغدا بعد ذلك يعطى كلقب خاص، فنقرأ لدى تاسيت المؤرخ أن «فيتيليوس» طلب تأجيل حصوله على هذا اللقب (٢:٦٢). وجنود «فسباسيان» كانوا حائرين بين إطلاق لقب «قيصر» عليه، أو لقب «أوغسطس» (٢:٨).

(٩٤) Ausonian Zeus يريد به جوبيتر الروماني. وهو يعتقد أن الرومان متحدرون من قبيلة الأوزون في منطقة «كامبانيا» الإيطالية. وبهذه العصبية يعامل الثقافة الرومانية. فيرفضها برفض تسمية الإله الأعظم فيها وتحويله إلى مدلوله الإغريقي.

(٩٥) يشير هنا إلى معركة «اكتيوم» التي انتصر فيها أوكتافيوس (أوغسطوس) على أنطوان وكليوباطرا. وقد شاركت فيها مدينة بيروت إلى جانب أوكتافيوس، فنالت حظوة كبرى سنة ٣١ ق.م. وقد دعوها بعد ذلك «جوليا السعيدة» وغدت مركزاً حضارياً هاماً.

بعد أن اطلعت الإلاهة على جميع
نبوءات أوفيون عادت إلى منزلها.
وضعت عرشها المصنوع من الذهب
قرب المكان الذي يجلس فيه ابنها،
وألقت بيدها حول خصره. وبهدوء
كلي فتحت ذراعيها الفرحتين
لاستقبال الصبح ووضعته على
ركبتيها.
قبلت شفتيه وعينيه. ولامست
قوسه الساحر، وداعبت بأصابعها
الكنانة، وبقليل من القلق وجهت
هذه الكلمات الخلابة (لابنها
إيروس):
«أمل الحياة أنت! تعزية ابنة
الزبد (أفروديت)!
«كان كرونوس قاسياً على أبنائي
وحدهم.
«بعد تسعة أشهر من العمل المضني
ولدت للعالم هرمونيا، معانية من
آلام الوضع المريرة.
«والآن هي تعاني من جميع أنواع
الهموم والمحن.
«لكن «ليطو»[٩٦] ولدت
أرطميس[٩٧] إلّيذيا (القابلة)، سيدة
العمل، نصيرة الجنس النسائي.
«أنت يا أخا أميمونه، ابن الأم
ذاتها، إنك لا تحتاج لمن يقول لك
كيف حصلت على دمي من البحر
والأثير.
«سأنجز عملاً هاماً لأكون مولودة
من السماء[٩٨].

(٩٦) Leto هي في الإلياذة والدة أبولو وأرطميس من زوس (٩:١ و٤٩٨:٢١ و٦٠٧:٢٤). وهي لدى هزيود ابنة فوبي وكويوس، ذات الرداء الأسود، العطوفة على الناس، اللطيفة مع الآلهة، ألطف من في الأولمبس (مولد الآلهة ٤٠٤). وهي غير إغريقية ويكتبها اللاتين «لاطونا».

ويرى «غريف» أنها هي ذاتها ليدا، لاطونا، ليطو، لات (٢:٦٢). ولدينا اسم هذه الإلاهة في لبنان في «الليطاني» وربة لاتين. وهي على ما يبدو «اللات» التي ذكرها هيرودت باسم «أليلات السماوية» (٧:٣). وكانت معبودة للعرب.

ومن الروايات المنسوبة لها أن «نيوبي» زوجة «أمفيون»، ملك طيبه فاخرت الإلاهة ليطو بعدد أولادها، فغضبت هذه، مما جعل ابنة المتنبئ «تيريزيا» تدور في شوارع المدينة، وتدعو النساء إلى تقديم البخور والصلوات لها ولولديها لاسترضائها، على أن يضعن في شعرهن أوراق الغار. وقد فعلن ذلك (أوفيد ١٥٥:٦) وكذلك الإلياذة (٦٠٨:٢٤).

وهذا يعني لنا وجود صراع بين أتباع اللات وهن من سلالة قدموس، ولهن نبي على طريقة الساميين، يدعى «تيريزيا» وبين عبادات الإغريق. وما يلفت هو أن لليطو أختا أيضاً تدعى «استيريا»، أي عشتار على الأرجح.

وهذا يعني وجود التراث السامي الكنعاني بكثافة في التراث الإغريقي.

(٩٧) Artemis هي ابنة ليطو (اللات) وأخت أبولو (هبل) وموجودة قبل الإغريق. ويبدو أن اسمها مشتق من «طامة»، أي الأرض المتوحشة. وتعرفها الإلياذة «أرطميس البرية، سيدة الوحوش... جعلها زوس أسداً بين النساء وسمح لها بأن تقتل من تشاء» (٤٧٠:٢١-٤٨٤). وهذا كان دور «طامه» في قصة الخلق البابلية.

ويسجل بوزانياس أسطورة عنها وهي أنها كانت تستحم في ينبوع «بلاتيا»، في بويتيا، فرآها الصياد «أكتايون» وهي عارية فأرادت الانتقام منه. وعندئذ وضعت عليه جلد غزال وتركت الكلاب وراءه فمزقته لتمنع زواجه من سميله (٢:٩، ٣)، وكذلك لدى أبولودورس (٤:٣، ٤ و٥:٢، ٣). وكانت الظبية الانثى حيوانها المقدس. وهي حامية لعذرية الفتيات. ويجري توحيدها مع إلاهة القمر سليني باعتبار أبولو أخاها من الإلاهة الشمس.

(٩٨) العمل الذي تعد أفروديت بانجازه هو إقامة صراع إلهي أبدي حول بيروت ومستقبلها بين البحر والبر، أي التجاذب الحضاري لمدينة بيروت.

«سأزرع السماء علـى الأرض قـرب البحر الذي هو أمي.

«هيا إذن، ومن أجل جمال أختك وتّر قوسك واسحر الآلهـة، أو اطلـب سـهماً واحـداً واضـرب بـه معـاً، بوزيدون ولايايوس (ديونيسوس)، إله الخمر، وكلاهما مباركان.

«سأعطيك هدية لضربتك النـافذة، حيـث تكـون مكافـأة خاصـة تـوازي عملك البطولي.

«سأعطيك العود الذهبـي الزواجـي الـذي قدمـه فويبـوس لهرمونيـا علـى باب مخدع العريس.

«سأضعه بين يديك كتذكار لمدينـة ستوجد. وأنت لن تكـون فقـط رامـي سـهام، بـل ستكون «دقـاق» عـود، تماماً مثل أبولو.»

النشيد الثاني والأربعون

النسيج الثاني والأربعون الذي حُكته وتغنيت فيه
بالحب السعيد لباخوس وبشهوة مزلزل الأرض (بوزيدون).

— ٤٢ —



إله الحب يوتِّر قوسه

أقنعت هذه الكلمات «إيروس» العنيد، غير المنظور. وبخطوات سريعة كالزمن لبط الأرض ووثب بسرعة في الهواء، يشق الغيوم بجناحيه، ومعه قوسه الملتهب وكنانته معلقة بكتفه، مملوءة بنيران عذبة.

وكما يجتاز نجم بلطف، وخط طويل من الشرر، سماء خالية من الغيوم، ناقلاً معه نذيرًا لمحارب أو لملاح ما، وهو يترك لمعانًا على سطح الهواء مع نار ضئيلة، هكذا فعل إيروس العنيف.

بوثبة رشيقة، وبجناحين يخفقان في الهواء، مع هسيس صوت حاد لهما، في أعالي الفضاء، هبط قرب الصخرة «الأسيِّرية» (٩٩).

(٩٩) يقصد هنا أرض بيروت حيث يبدو رأس بيروت، قبل عمرانه، كصخرة ملقاة في البحر.

جمع معاً سهمين متقدين برباط واحد ليجمع بهما عاشقين، برغبة واحدة في حب فتاة، أي متنافسين على عروس: إله الكرمة وسلطان البحر.

في هذا الوقت جاء أحدهما من أعماق المياه، من البحر المجاور للمرفأ، والآخر جاء من أرض «صور»، من بين جبال لبنان، والتقى الاثنان في المكان ذاته.

حلّ «مرون»[(١٠٠)] أعنّة النمرة الجارّة للعربة، وكانت تتفصّد عرقاً من ثقل النير.

نفض الغبار عن النمرة وغسلها بماء الينبوع ليبرّد جرح عنقها الملتهب.

وعندئذ اقترب «إيروس» من الينبوع، وأطلق على الإلهين سهمين.

اندفع ديونيسوس بجنون ليقدم كنوزه للعروس، هي فرح قلبه وعناقيد عنبه السوداء.

وحث ذلك سيد «الشلفة» المثلثة على الحب وتقديم هدية حب مضاعفة للفتاة، جارة البحر، هي نتاج البحر، والمغامرات فيه، مع صيد بحري.

ألهب قلب باخوس أكثر، لكون الخمر يحثّ الدماغ على الشهوة ويجعل الشبان أكثر خضوعاً لنزواتهم المسحورة التي لا تعرف التعقل.

(١٠٠) Maron في الأساطير هو كاهن الإله أبولو في «تراقيا». وهو الذي أعطى أوديسيوس الخمر الذي أسكر به العملاق «بوليفيموس»، وذلك كان سبب إبقاء أوديسيوس عليه مع عائلته أحياء، حسب الأوديسية (١٩٧:٩). وهو لدى المؤرخ ديودورس الصقلي خبير بزراعة الكرمة. وقد رافق ديونيسوس (أوزيرس) في رحلته إلى الهند، لنشر هذه الزراعة (٨٨:١). ثم تركه هذا في تراقيا لكبر سنه، فأنشأ مدينة هناك باسمه «مارونيا» (٢٠:١). ويبدو أن اسمه في لبنان لا يزال موجوداً يطلق على قلعة «ديركيفا» إلى الشرق من مدينة صور. وهي قلعة كنعانية تجددت في عهود مختلفة.

غرس في قلب باخوس حربته بكاملها، فالتهب هذا بالشهوة بقدر ما سُحر بقطرات «القناعة» المعسولة.

هكذا، حمل للاثنين الجنون. وبشكل طائر اتخذ طريقه، محوّما في الهواء، منزلقاً كالريح السريعة، فارتفع بقدمين دافعتين، صارخاً بهذه الكلمات الساخرة:

«إذا كان ديونيسوس يذهل الناس بالخمر، فأنا أهيِّج باخوس بالنار!»

أدار إله الكرمة عينيه للنظر، وراح يتأمل الجسد الفضي للفتاة الطويلة الشعر.

– بإعجاب كبير مدفوع بالشهوة وجدت عينه الطريق إلى الحب المولود حديثاً.

– سار ديونيسوس دون انتباه في الغابة البهيجة، وهو يوجه خفية نظرة محدقة إلى «بيروي» ويتتبع خطوات الفتاة عن قرب منها.

لم يشبع من النظر، حيث بقدر ما كان يتأمل الفتاة كان يشعر بالرغبة في النظر إليها أكثر.

فتوسَّل إلى هليوس (الشمس)، مذكراً رئيس النجوم بحبه لكليمين[١٠١]، راجياً إياه أن يشد عربته إلى الوراء ويوقف الخيل الفضائية لبرهة سماوية، بحيث يطول النور العذب ويذهب ببطء إلى مغيبه، وبجهد إضافي من السوط يزيد في بهاء النهار.

(١٠١) Clymene هي والدة فايتون، ابن الشمس. وقد تزوجت ملك أثيوبيا. والاسم يستعمل أحياناً بديلاً لأي اسم مجهول.

كان يوازن مشيته، خطوة خطوة، مع مسيرة «بيروي» فيمر الإله حولها وكأنه لا يلاحظ شيئاً.

بينما كان مزلزل الأرض (بوزيدون) يتسلَّل من البحر بأقدام مبتلة، ويذهب بخطى بطيئة، فيروح ويجيء، مرة وأخرى، وذهنه هائج كالبحر يتموج ويزبد، وهو يدمدم باستمرار.

بقي ديونيسوس القلق وحيداً قرب الفتاة المنفردة في غابة لبنان العذبة. لقد ترك ديونيسوس وحده!

... قلن لي يا حوريات الغابات، ماذا كان يريد أو يحب، أكثر من النظر إلى جسد الفتاة وحده، متحرراً من مرض حب مزلزل الأرض؟

لقد قبل، مليون قبلة، المكان الذي كانت تطؤه بقدمها. كان يزحف خفية ويقبل التراب الذي كانت الفتاة تمشي فوقه، جاعلة إياه لامعاً بحذائها الوردي.

تأمَّل «باخوس» عنق الفتاة الجميل وكاحلها، وهي تمشي، والجمال الذي وهبته الطبيعة لها:

ليس هناك زينة حمراء لجلد بيروي لتطلي بها وجهها الوردي المستدير. وليس هناك حمرة زينة ومشحات مزيفة على خديها.

إنها لا تستشير المرآة البرونزية اللامعة، لتعكس لها مظهرها، فهي تسخر من كل جماد يمثل وجهها ويضاهي جمالها.

– لـم تكـن تسـتعمل عقصـات
لشـعرها، فـوق حواجبهـا، بـل هـي
تترك خصلات من الشعر تنـوس فـوق
حواجب عينيها علامة لطيفة.
فالجمال الطبيعي لوجه مـا يذهـل
الحبيب البائس بوخزات أكثر حدّة.
والجدائـل غـير المعقوصـة، لـراس
غـير مزيّـن، هـي أكـثر أناقـة عندمـا
تنسـدل بـدون ضفـيرة، علـى جـانبي
وجه له بياض الثلج.
ومرة، عندما لفحها الحـر وعضهـا
كلب السـماء، قصـدت الفتـاة ينبوعـاً
بشفتيها الظامئتين.
انحنـت الفتـاة بعنقهـا وخفضـت
رأسـها، ثـم غرفـت بيدهـا مـن ميـاه
موطنهـا ورفعتهـا إلى فمهـا حتـى
ارتوت، فتركت الغدير.
وعندما ابتعـدت ركـع ديونيسـوس
عند الينبوع الحبيب، وجـوَّف راحـة
يده بحركة مقلِّدة للفتاة المحبوبة.
وعندئذ، شرب ماء أكثر عذوبة من
الرحيق الطبيعي.
ورأته حورية الينبـوع مـن الأعمـاق
وهو يتحرق بالشهوة، فقالت له:
«عبثـاً تشـرب مياهـاً بـاردة
ياديونيسـوس؛ لأن جميـع تيـارات
الأوقيانوس لا تطفئ عطش الحب.
«اسأل والدك! عريس أوربة الذي
اجتاز البحر الواسع، فهو لـم تنطفـئ
نار شوقه، وإنمـا كـان يـزداد تحرقـاً
فوق الماء.

«وشهادة تأتيك من «ألفيوس»[102]

الذي تراه خادماً للحب المائي ومن مياه إلى أخرى. ولكن، في جميع هذا الطوفان، لم يستطع تجنب حرقة الحب، برغم كونه سائحاً مائياً.

هكذا قالت النایاد[103] السافرة، وضحكت على «لايايوس»، وهي تغوص في الينبوع الذي كان لون مائه من لون جسدها.

والإله المتذمر من «بوزيدون»، ملك الأمواج، شعر بالخوف والغيرة عندما شربت الفتاة ماء وليس خمراً. وتهدَّج صوته في الهواء الذي لا يسمع، وكأن الفتاة موجودة هناك لتسمع وتطيع:

«اقبلي الرحيق أيتها الصبية – واتركي هذا الماء الذي تحبه الصبايا!

«تجنبي ماء الينبوع، لئلا يسلبك البحر، ذو الشعر الأزرق عذريتك في الماء...

«لأنه محب مجنون، وصاحب حيل هو!

«إنكِ تعرفين «تيرو»[104] التسالية وحبها، وعرسها في الماء؛

«احترسي من الأمواج المخادعة، لئلا أحد المخادعين يفك زنارك، كما فعل اللص المغتصب «إنيبوس»[105] بها.

«آه، لو أني أتحول إلى ماء، مثل مزلزل الأرض، أهدر بقوة، وأضم «تيرو» لبنان التي تخصني، وهي عطشى، وبدون انتباه إلى جانب ينبوع الحب!»

(١٠٢) Alpheios هو أكبر أنهار البلوبونيز. ويذكرنا الشاعر هنا بمعرفته الدقيقة لهذا النهر الذي تصب فيه أنهار صغيرة عديدة. وهو يختفي تحت جبل، ثم يعود للظهور حسب سترابو (٨:٨، ٤). ووفق بوزانياس هو يحب «أرطوزا» (٢٣:٧، ٢) وينابيعه الأساسية هي في أركاديا. ويلاحق أرطوزيا خلال البحر، فيصل إلى جزيرة «أورتيجيا» القريبة، والمقابلة لسيراقوسه. كما هي تحولت إلى ينبوع مياه تلتقي مياهه بمياه النهر في البحر (٧:٥، ٣).

(١٠٣) Naiad هي حورية الينابيع والسواقي. موهوبة بالتنبؤ، وتعتبر حامية للشعر والموسيقى، وتهتم بالخصب، حسب الإلياذة (٢٢:٦). وتذكر الأوديسية كهفاً جميلاً للنياد على شاطئ البحر في «إيتاكا» (١٠٤:١٣).

(١٠٤) Tyro هي ابنة سلمونيوس، وقد ماتت والدتها وربتها امرأة أبيها «سيديرو»، وعاملتها بقسوة، بعد أن طردت عائلتها من «تساليا». عشقت نهر «إنيبيوس»، وغدت تجلس يومياً على ضفته، وهي تبكي وحدتها عنده، دون أن يعبأ بها. وسبب طرد عائلتها هو أن والدها سلمونيوس ادعى الألوهة ودعا الناس إلى عبادته.

تنكر بوزيدون بشكل إله النهر واغتصبها، فولدت منه توأمين سراً، وتركتهما. فوجدهما مربي خيول، وتعهدهما وسمى أحدهما «بيلياس» والآخر «نيلاوس». ولما كبرا التقيا والدتهما وانتقما لها بقتل زوجة أبيهما التي كانت لجأت إلى معبد «حورا»، فلحق بها «بيلياس» وقتلها على المذبح. حسب أبولودورس (٩:١، ٨).

ويعلق غريف على اسم «تيرو» (٦٨:٢)، فيرى أن البحر التيراني يحمل اسمها ويبدو أن الاسم موجود قبل الإغريق. وربما اضطهاد سيدوري لتيرو هو تسجيل لاضطهاد الصيدونيين للصوريين في أزمنة موغلة في القدم. واغتصاب بوزيدون لتيرو هو لشهرة مدينة صور بركوب البحر الذي استأثر بها.

وهنا نشير إلى أن اسم سلمونيوس والد تيرو هو سامي الوقع.

(١٠٥) Enipeus هو اسم النهر الذي أحبته. وقد تسمى بوزيدون باسمه وتزين بشكله.

هكذا تكلم الإله، وقد غير شكله
إلى آخر، وغاص في الظلال الكثيفة،
حيث هي الفتاة.
– غدا يشبه صياداً شبهاً كاملاً.
بمظهر جديد، غير معروف، انضم
إلى ذات الشعر الناعم غير المروّضة،
كفتىً غرٍّ. رسم على وجهه صورة
مزيفة للتواضع ومظهراً جامداً لوجهه.
راح يتأمل قمة صخرة منعزلة،
ويتلصّص من خلال شجرة طويلة
الأغصان فوق مرتفع.
يلتفت بنظرة فضولية إلى صنوبرة،
أو يتفحص سروة أو شجرة دردار.
– ولكن، بحذر تام، ونظرات
مختلسة، كان يراقب الفتاة القريبة
منه، لئلا تستدير وتهرب إلى البعيد.
فالجمال وعينا فتاة في سنّها هي
تعزية قليلة لرجل يرتجي الحب
الذي أرسلته إليه «القبرصية».
اقترب إلى قرب بيروي، وبنيته أن
ينطق بكلام، لكن الخوف تملكه
سريعاً.
– فيا إله الانتصارات، أين هو
سلاحك القاتل للرجال؟
– أين هو نفيرك المرعب؟
أين هي حبالك الأفعوانية الخضراء
التي تقتات من الأرض في شعرك؟
أين هو صوتك الراعد؟
يا لها من معجزة عظيمة –
باخوس يرتجف أمام فتاة! باخوس
الذي ارتجفت منه قبائل الجبابرة!

لقد تغلب خوف الحب على قاهر الجبابرة.
لقد قضى على جميع شعب الهنود محبي الحرب، وهو يخاف من فتاة ضعيفة لطيفة! يخاف من امرأة رقيقة!
في الجبال أسكت زئير الأسود المرعبة بنبتة «الشمَّر». وها هو يضطرب أمام تهديد امرأة.
شردت كلمة إلى طرف لسانه، خلال فمه المضطرب.
جاءت من قلبه، وتراجعت إلى قلبه مرة ثانية، ولكن الخوف المر الحلو أمسكها بصمت وخجل سريع وخنق الصوت الذي كان يريد الظهور للنور.
وأخيراً نطق بعد جهد، وكسر سلسلة الخجل التي كانت تربط شفتيه، وفك الصمت المؤجل، وسأل بيروي بصوت ادعاء:
«أين سهامك يا «أرطميس»؟
«من سرق جعبتك؟
«أين تركت ثوبك الطويل الذي يغطي ركبتيك؟
«أين هو حذاؤك، الأسرع من الريح في هبوبها؟
«أين مرافقوك، التابعون لك؟
«أين شباكك وكلاب الصيد السريعة؟
«إنك ترفضين صيد الظباء، حيث القبرصية تنام قرب أدونيس.»

قال ذلك وتظاهر بالدهشة،
فابتسمت الصبية في قرارة نفسها.
وبفرح وكبرياء رفعت عنقها، معتزة
بفتوتها الغضَّة، لكونها امرأة غير
خالدة، وهي تشبه إلاهة بجمالها،
ولم تلاحظ خدعة ديونيسوس المفتون.
انفعل باخوس أكثر لكون الفتاة،
بسذاجة طفولتها، لم تعرف الشهوة.
كان يتمنى لو أنها تعرف مدى
غرامه، لاعتقاده بأن الفتاة، عندما
تعلم ذلك، يكون للرجل أمل بأن
يأتيه الحب أخيراً، لكن، لما لا
تلاحظ النساء، تكون رغبات الرجل
اضطراباً بدون ثمار.

وهكذا، يوماً بعد آخر، وفي وسط
النهار، كما بعد الظهر، وفي الصباح،
كما في المساء، كان الإله يتسكع في
غابة الصنوبر، منتظراً الفتاة،
ومشدوداً أكثر إلى الانتظار.
قد يمل الرجال من كل شيء، من
النوم العذب، ومن الأغاني الجيدة،
ومن حركات الرقص، لكن الرجل
المتيم بالحب لا يتعب من الشوق،
فكتاب هوميرس لم يقل الحقيقة.[١٠٦]
كان ديونيسوس يتعذب بصمت،
بينما يجلده سوط إلهي، وهو يحترق
من جرح خفي للحب في قلبه
المضطرب.

(١٠٦) كتاب هوميرس هو هنا الإلياذة. والشاعر نُنّوس اقتبس فقرة طويلة عنه حول رغبات الإنسان التي تشبع من كل شيء إلاّ من الحرب (٦٣٩:١٣). ولكنه هنا جعل الحب بدلاً من الحرب.

كثور شارد على السفوح، مبتعداً
عن قطيعه المعروف، بعد أن وخزته
ذبابة الربيع بإبرتها الحادة في الغابة
الظليلة: فكم هي الوخزة صغيرة،
وكم هو ضخم جسد الثور النافر!
إنه يرفع ذنبه وقوفاً فوق ظهره
ويجلد به مؤخرته، ثم يروح يحك
ظهره بالصخور، ويوجه قرنيه
الحادين، يطعن بهما الهواء الناعم،
غير القابل للجروح.
هكذا هو ديونيسوس، المتوج دائماً
بالنصر، قد وخزه «إيروس» بإبرته
السحرية.
راح يبحث عن دواء مهدئ
للحب، فكشف سره لإله الشجر
«بان» بكلمة مغموسة بالكرب.
شكا له غياب النوم عن هيامه،
والتمس منه نصيحة تحميه ضد
الحب.
ضحك بان، ذو القرنين ضحكة
عالية، عندما علم باللواعج الملتهبة في
عذابات باخوس، ولكن، كمحب
قليل الحظ هو ذاته، بقلبه الكسير،
رثا لحبه البائس وأعطاه نصيحة
حب.
إنها تعزية صغيرة له، ولحبه،
رؤيته واحداً آخر يحترق بشرارة من
الجعبة ذاتها.
«إننا متساويان بالعذاب، أيها
الصديق باخوس، وأنا أرثي لمشاعرك.
«كيف استطاع ذلك الحب
الجريء أن يقهرك أنت أيضاً؟

«إني أستطيع القول أن «إيروس» أفرغ كنانته علي وعلى ديونيسوس معاً !

«ولكني أستطيع إطلاعك على الطرق المتعددة لخداع الحب.

«كل امرأة لديها شوق أكثر من الرجل، لكن الخجل السريع يجعلها تخفي لذعة الحب، برغم تحرقها هي ذاتها.

«إنها تتعذب أكثر، لكون شرارات الحب تصبح أكثر لهيباً عندما تكتمها وتخفي اختراق سهم الحب لصدرها.

«عندما تتحدث إحداهن للأخرى عن سلطة الهوى، فإن تمتماتهن ترمي إلى تسكين الألم وتعمية أشواقهن الشهوانية.

«وأنت يا باخوس، عليك أن تتحمل الخجل الخادع الملازم لك ليبقى حبك مستمرّاً.

«عليك أن تبقى مكتئب المظهر، وكأنك، بتواضع، تقف صدفة فقط قرب بيروي.

«احمل شبكتك بيدك وانظر إلى الفتاة الوردية بدهشة مزعومة، وامدح جمالها.

«قل لها أن «حورا» ليست مثلها، واذكر أن «المنعمّات» لسن بجمالها، واكشف عيوباً في مظاهر أرطميس وأثينا، وقل لبيروي أنها أكثر تألقاً من أفروديت.

«وعندئذ، لما تسمع الفتاة مزاعم انتقاداتك، سيكون ذلك أكثر بهجة لها من مديحك.

«أكثر مما ترحب بجبال من الذهب سترحب بالاستماع إلى ثنائك على وسامتها، وكيف أن جمالها يفوق جمال جميع صديقات طفولتها.

«اجعل الفتاة مفتونة بالصمت ذي المعنى.

«دع جفونك تتحرك، واستعمل معها الغمزات والإيماءات.

«افتح يدك واصفع بها حاجبك بدون شفقة، وأظهر اندهاشك المزعوم بصمت حكيم.

«إنك ستقول أن الخوف يتملكك في حضور فتاة عادية. فقل لي، ماذا تستطيع فتاة منفردة أن تفعل لك؟

«هي لا تهز رمحاً، ولا توتر سهماً بتينك اليدين الورديتين.

«سلاح الفتاة هو عيناها، اللتان تطلقان الحب، وسهامها هي في خديها الأنثويين المورَّدين بالاحمرار.

«هدية الحب لعروسك، لا تجعلها كنزاً من الجواهر الهندية أو اللآلئ، كما يفعل المحبون المفتونون.

«فلكي تحصل على الحب يكفيك شكلك الأنيق وحده – فالامرأة تريد أن تلامس جسدك الجميل وليس الذهب!

«لا أطلب شهادات أخرى – فأية هدايا حصلت عليها «سليني» من «إنديميون» ذي الشعر الناعم؟

«أية هدايا حب قدمها أدونيس للقبرصية؟

«لم يقدم «أوريون»[١٠٧] فضة للفجر، ولم يقدم «كفالوس»[١٠٨] شراء يذكر.

«الوحيد الذي قدم هدايا لائقة هو «هيفايستوس»، لكونه أعرج، وللتعويض عن مظهره غير الجذاب. ومع هذا لقد فشل بإقناع أثينا[١٠٩]، فلم تساعده مطرقته المبدعة في شيء. لقد خسر الإلاهة التي أرادها.

دافني الفارّة من أبوللو
للفنان برنين... متحف فيلا بورغيزى

(١٠٧) Orion صياد من بويتيا، كان يلاحق الثريا. وهو ابن بوزيدون وأوريال. وكان له موهبة السير على البحر. اغتصب «ميروب» ابنة «أونيبيون»، فسمل هذا لـه عينيه وألقاه على الشاطئ. فذهب إلى هيفايستس واختطف ولداً، وضعه على كتفيه، واتجه به نحو الشمس، فشفي وعاد بسرعة للانتقام من «أونيبيون». ولكن بوزيدون أعد له بيتاً تحت الأرض من بناء هيفايستس. وقد أحبته إلاهة الفجر وحملته إلى ديلوس. وكانت الإلاهة محكومة بأن تبقى عاشقة من قبل أفروديت، لكونها نامت مع «أرويس»، حسب أبولودورس (٤:١، ٣) ولكن أرطميس قتلته بعد ذلك، لكونه كان يقسو على «أوبس» إحدى تابعاتها (الأوديسية ١٢٢:٥) وغدا بعد ذلك كوكباً. ونجد في الأساطير العربية مثل أساطير الحب هذه بين الكواكب، حيث نقرأ عن حب «الدبران» للثريا. وهو كان يلاحقها ومعه «القلاص» أي هدية الزواج.

(١٠٨) Cephalos شخصية أسطورية، يعرّفه أبولودورس بأنه ابن «هيرزي» وهرمس ومن نسله «صندوقس» (صديق) الذي انتقل من سوريا إلى كيليكيا وأنشأ «قلندريا» وولد له ابنه «كنيراس» ملك قبرص ووالد «أدونيس» (١٤:٣، ٣).

وتتفق عفته الموصوفة في التراث الإغريقي وإخلاصه لزوجته مع القصص المنسوبة لذي الكفل في التراث العربي. وحيث يربطه التراث الإغريقي بسوريا نفترض أنه الشخصية ذاتها وبخاصة إذا فهمنا اسم والده هرمس بأنه إدريس ذاته الموهوب بالحكمة لدى العرب. وكما ذكر سترابو فإن كنيراس حفيده كان ملكاً لمدينة جبيل اللبنانية (٢:١٦، ١٨). وقد تمثلت قصة ابنه أدونيس في منطقة جبيل، حسب إجماع جميع الروايات. وآية القرآن الكريمة تؤكد هذه العلاقة مع تراث العرب «وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين.» (الأنبياء ٨٥ و٨٦).

وحسب أوفيد أحب «بروكريس» وعاهدها أن لا يقبل فم غيرها (٧٠٠:٧).

ولا نعتقد أن التقاء سلالة من مجموعة أسماء سامية كان صدفة في التراث الإغريقي.

(١٠٩) Athena هي الإلاهة الأولى لدى الإغريق. وقد تسمت عاصمتهم باسمها. ولكنها موجودة قبل الإغريق في أتيكا. تعرفها الإلياذة بأنها ابنة زوس (٥٤٨:٢). وهي حسب الأوديسية تأخذ شكل طائر البوم (٣٧١:٣). وهي بطلة حرب، تذكر إلى جانب إله الحروب أروس كمحبة للحروب، حسب الإلياذة (٣٩٨:١٧).

ذكرها هزيود بأنها «مولودة من رأس زوس، رمادية العين، ملكة مخيفة، تثير قعقعة الحرب التي لا تتعب، تقود الجيش، وتحب الصراخ والصراع والقتال.» (مولد الآلهة ١٢٠).

وهي كانت تحب الحكمة لكونها مولودة من رأس زوس. وبرأي هيرودت هي ليبية الأصل (١٩٠:٤). وكذلك لدى أبولونيوس رودس (١٣١٠:٤).

ولكونها تحب الحرب، فهي تشبه «عناة» الكنعانية، وفق شخصية عناة خلال ملحمة البعل. ولا نستبعد أن يكون اسمها جاء من كلمة «وثن» العربية السامية.

وكان تمثالها الصغير «بلاس» يحمي مدينة طروادة. ولم تسقط المدينة إلا بعد أن سرقوا منها التمثال، حسب بوزانياس (٢٣:٢، ٥). وكانوا يعتقدون أنه سقط من السماء، حسب أبولودورس. وكان التمثال بعلو ثلاث أذرع يحمل حربة باليد اليمنى ومغزلاً باليسرى (١٢:٣، ٣). وحسب الإلياذة كانوا يتوسلون إليها في طروادة برفع أيديهم والعويل بصوت «الويل» (٢٩٧:٦-٣٠١).

«إنما هناك سحر أقوى من أجل الاجتماع والزواج، وسأعلمك إياه إذا شئت.

«أنقر على العود الذي كان مخصَّصاً لرحيَّه، فهو الكنز الثمين للقبرصية، إلى جانب كأس الخمر.

«أضف صوتك إلى صوت العود معاً!

«غنِّ أولاً لدفنيه[110] وصوت الصدى «إيكو» الشارد، وجواب الإلاهة التي لا تعجز عن الكلام، لأن هذين هما من احتقر إرادة الآلهة.

«نعم، وغنِّ أيضاً «بيتس»[111] وقدرها، الكارهة للزواج التي فرَّت مسرعة كالريح، فوق الجبال، لتتجنب الملاحقة غير الشرعية لبان، وكيف أنها اختفت في الأرض ذاتها، وجِّه اللوم للأرض.

«وعندئذ، قد تندب هي قدر الحورية وتبكي عليها بأسى.

«ولكن عليك أن تجعل قلبك يبتهج سراً، عندما تشاهد الدموع العذبة كالعسل للفتاة الباكية.

«ليس هناك ما يثير الضحك مثل هذا، لأن النساء يصبحن مرغوبات أكثر، مع التوهج والتورد عندما يبكين.

«غنِّ سلينى المجنونة بحب إنديميون.

(١١٠) Daphne هي ابنة إله النهر «بناوس». طلبت من والدها أن يمنحها عذرية دائمة فأجابها بأن جمالها الفذ يحول دون ذلك. رآها «أبولو»، فعلق بحبها وراح يلاحقها وهي تهرب منه. وراح يعدد لها نسبه الإلهي ومواهبه بالموسيقى والتنبؤ بالمستقبل والماضي والحاضر، ولكنها لم تستجب له. وقد تحولت إلى شجرة الغار (الرند) التي يحبها أبولو، وغدت هذه الشجرة ترمز للنصر، حسب أوفيد (١:٤٥٢).

ويذكر بوزانياس أسطورة أخرى عنها، وهي أن «لوكيبوس» أحبها لأنها تهرب من الرجال، فتنكر بثياب فتاة وغدا صديقتها. وفي أحد الأيام أجبرته مع صديقاتها على الاستحمام معهن، فاكتشفنه، وقتلنه بسكاكين الصيد (٨:٢٠، ٢)، كما يقول هذا المؤرخ أن هناك قصصاً أخرى يرويها السوريون على ضفاف نهر العاصي.

(١١١) Pitys يبدو أن ننُّوس وحده يورد اختفاء «بيتي» في الأرض، بينما غيره يرى أنها تحولت إلى شجرة «سرو» (غريف ٢٦ إي و٢) وغريف يرى أن من أسمائها أيضاً «إيلات».

«غنِّ عرس أدونيس المنعَّم، وغنِّ أفروديت ذاتها، وهي شاردة، مغبَّرة، سافرة، تبحث عن آثار عريسها فوق الروابي.

«لن تهرب منك بيروي، وهي تستمع لقصص الحب العسلي القلب لوطنها.

«هذا كل ما استطعت قوله لك عن حبك البائس يا باخوس!

«والآن قل لي أنت شيئاً، أفتن به محبوبتي «إيكو»[112].»

* * *

قال ما أراد قوله وترك ابن «ثيون»[113] مرتاحاً.

وعندئذ اصطنع ديونيسوس مظهراً جاداً كمخادع، وسأل الفتاة عن والدها أدونيس، كصديق له ورفيق في الصيد فوق التلال.

وقفت الفتاة ساكنة، فمد يده الطويلة إلى قرب صدرها، وربت على خصرها، وكأنه لا يدري ماذا يفعل، ولكن، عندما لامس ثدييها، خدرت يد الإله اليمنى المريض بالحب.

وسألت الفتاة، بعفوية الطفولة، ابن زوس، الواقف قربها عمّن هو، ومن هو والده...

ومع كثير من اللعثمة وجد عذراً، لما رأى، أمام باب أفروديت، الكرمة والموسم الخيِّر للأرض والمروج النديَّة وجميع الأشجار.

(١١٢) Echo أو الصدى، حورية عشقها «بان» إله الغابات، وهي في الأساس مشهورة بحب «نارسيس» كما يسجل الأسطورة أوفيد (٣٣٨:٣).

(١١٣) Thyone من أسماء «سميله» والدة ديونيسوس. ولا بد من الإشارة إلى وجود منطقة أثرية بجوار النبطية تدعى «شميله»، وليس بعيداً عنها اسم طلوسا، والدة قدموس، وطيبه بلدته.

وفي جهده العقلي تصرف وكأنه
فلاح للأرض وتكلم عن زواج بكلمات
تعني أكثر مما يقول:
«إني فلاح في لبنان الذي يخصك.
وإذا كان ذلك يرضيك سأسقي لك
أرضك وأعتني بقمحك.
«إني أعرف مسيرة الفصول الأربعة.
«عندما أرى نهاية الخريف هنا
سأصرخ بصوت عال: العقرب[١١٤]
يرتفع مع خيره العميم، وهو البشير
بإعداد الأثلام المنتجة، فلنكدن
الثيران للحراثة.
«لقد غابت الثريا[١١٥] فمتى سنزرع
الحقول؟
«الأثلام تخصب عندما يسقط
الندى فوق الأرض التي جففها فايتون
(ابن الشمس).
«وخلال أمطار الشتاء، عندما أرى
«أركتورس»[١١٦] مقترباً من الدب
الأركادي[١١٧]، سأهتف: وأخيراً
جرى عرس الأرض العطشى بزخات
أمطار زوس.
«ولما يظهر الربيع سأصرخ في
الصباح: لقد تفتحت زهورك، فمتى
أجمع لك زنابق وورودًا؟
«انظري كيف يغطي السوسن
الآس، وكيف يضحك النرجس وهو
يطغى على شقائق النعمان!

(١١٤) Scorpion أي العقرب. مجموعة نجوم يستدلون بها على اقتراب فصل الشتاء. وتدخلها الشمس في ٢٤ تشرين أول.

(١١٥) Pleiads أو الثريا. مجموعة نجوم بشكل عنقود، عددها سبعة في مجرة «طورس» (الثور). وتكنى بها كل جماعة سباعية. وقد كانوا يهتدون بها. كان العرب يعتقدون أنها «مانحة الغيث»، وقد عبدوها.

(١١٦) Arectorus هو نجم يظهر مساء في أوائل آذار، ويغيب مساء في تشرين ثان. ولهذا يعتبرونه إشارة لفصل الأمطار. ويدعى بالعربية «السماك الرامح».

(١١٧) Arctos هو الدب الأكبر، في أقصى الشمال.

«وعندما أشاهد العناقيد الصيفية أمامي سأصرخ: إن الخمر في باكورتها، تنضج ولا تحتاج إلى منجل: فيا أيتها الصبية لقد جاءت أختك[١١٨] فمتى نجمع العناقيد؟

«لقد نضجت سنابلك، وحان وقت حصادها. سأجمع أكداس القمح وأقدم بواكيرها لبيت والدتك المولودة في قبرص، بدلاً من بيت «ديو» (ديمتر إلاهة الحصاد).

«اقبليني حارثاً لأرضك أساعد على خصوبتها.

«خذيني كبستاني لابنة الزبد (أفروديت)، كي أغرس شجرة الحياة، ويمكنني أن أكتشف الحصرم وغير الناضج بين العناقيد الجديدة.

«إني أعرف كيف ينضج التفاح. وأعرف كيف تغرس شجرة الدردار الواسعة الانتشار أيضاً، وهي تتعرش على السرو.

«ويمكنني أن أجمع ذكر النخيل بفرح مع الأنثى[١١٩]، وأجعل الزعفران اللطيف، إذا شئت، ينمو قرب اللبلاب.

«لا تقدمي لي ذهباً بدل عملي، فلا حاجة لي بالثراء. يكفيني أجراً، تفاحتان وسلة عنب، من كرمة واحدة.»

عبثاً كان كلامه. فلم تجب الفتاة بشيء، ولم تفهم شيئاً من الخطاب الطويل للحبيب المفتون.

(١١٨) Virgo لعله يعني بأختها هنا «برج العذراء»، وتدخله الشمس في أواخر شهر آب.

(١١٩) يذكرنا هنا بمعرفته الزراعية في تلقيح شجر النخيل، حيث توجد أشجار ذكرية وأشجار أنثوية، ويتم التلقيح بينها بواسطة الهواء والحشرات المتنقلة بينها.

وراح «إيرافيوتـــس»[١٢٠] يفكـــر بخدعة بعـد أخـرى. فتنـاول شبكة الصيد من يـدي بيروي وادعـى أنـه معجب بتقانة صنعهـا. وراح يهزهـا إلى جانبيه لبعض الوقت ويسأل الفتاة عدة أسئلة :

«أي إله صنع هذا العتاد، فيـا لـه من فن إلهي! من صنعه؟

«في الواقع لا أظـن أن «هيفستس» المجنـون بـالغيرة صنع عتـاد صيـد لأدونيس[١٢١] !»

هكذا كان يحاول إغواء الفتـاة ولـم تستجب لغوايته.

وأخذه النوم مرة بعمق فـوق بسـاط من شـقائق النعمـان، فـرأى الفتـاة في حلم مزدانة بثياب عروس. وذلك لأن مـا يفعلـه الإنسـان في النهـار يكـون صورة يراها في الليل.

فالراعي، في منامه يسـوق عجولـه ذات القرون إلى المرعى.

والصيـاد، يـرى شـباكه في رؤيـا حلم.

والفلاح الذي يعمل في الأرض يفلح حقولـه في المنـام ويبـذر الحبـوب في أثلامـها.

والرجل العطشـان عنـد الظهـيرة، عندما يشـتد عطشـه يقـوده الحلـم في نومه إلى ساقية ماء، أو إلى نهر.

هكـــذا حصـــل لديونيســـوس في اضطرابه. ترك عقله يجول في أحـلام تمثيلية أوصلته إلى الانضمـام إليهـا في عرس وهمي[١٢٢] .

(١٢٠) Eiraphiotes كلمة يونانية، ربما يعني بها «المجروح».

(١٢١) يشير هنا إلى التنافس في حب أفروديت بين الحداد الأعرج هيفايستس وأدونيس.

(١٢٢) إنه يشير إلى عملية الاستحلام لدى الرجال.

استيقظ، ولم يجد الصبية، فود لو يعود ثانية إلى النوم.
ثم تخلى عن البهجة بذلك الوهم السخي للعناق القصير الذي حمله له النوم على أوراق شقائق النعمان، فهو تلاشى بسرعة.
أخذ يلوم الأوراق الخرساء المنتشرة هناك.
ومع حزنه، راح يصلي للنوم وللحب ولأفروديت المسائية معاً، لكي يعود فيرى الرؤيا ذاتها في حلم مرة أخرى، لشدة شوقه لخيال خادع للمعانقة.
كان باخوس ينام غالباً قرب شجرة آس[123] أمّا الأحلام والنوم فقد فارقته.
لكن العذاب العذب الذي أحس به جعل أعضاءه تسترخي من التعب ومن صعقة الحب.
لقد كان بارعاً بالصيد، عندما كان يرافق والد بيروي، ابن مرَّه (أدونيس).
كان يرمي بشوكته المثلثة، ويلف جسمه بجلود الظباء المذبوحة حديثاً،
بينما عيناه كانتا سرّاً، تراقبان بيروي.
وعندما وقف غطت الفتاة خديها المتوردين بثوبها، لتتقي نظرات ديونيسوس إليها.

(١٢٣) Myrtle هي شجرة أفروديت.

جعلتـه بذلـك يتحـرق أكـثر، لأن المتيمين بالحب يتعلقون أكثر بالنسـاء الخجولات ويرغبون بعنـف أكـبر، في الوجوه المستترة.

شـاهد مـرة ابنـة أدونيـس البريئـة وحدها، فاقترب منها وقد غير شـكله الإنساني ووقف أمامها بشكل إله.

روى لهـا اسمه وعائلته وانتصاراتـه في محاربة الهنود، وكيف أنـه أوجـد للإنسان زراعة الكرمة وصناعة الخمـر وحلاوته للشراب.

* * *

وفي غمرة عواطفه خلط بين الجـرأة والشجاعة البعيدة عن التواضع، فراح صوتـه المغـرور والمتملـق يتهـدج بهـذه الكلمات:

«مـن أجـل حبـك أيتهـا الصبيـة تخليت عن منزلي في السماء.

«غدت كهوف آبائك أفضـل لـدي من الأولمبس[124].

«أحببت بلادك أكثر من الفضاء.

«لا أحب صولجان والدي زوس بقدر ما أحب أن تكون بيروي زوجتي.

«جمـالك أكـثر عذوبـة مـن «الأمبروزيا»[125].

«فالرحيق السماوي ينفث رذاذاً من ثيابك.

«أيتها الصبية، عندمـا سـمعت أن أمـك هـي القبرصيـة كـانت دهشـتي الوحيـدة هـي: كيـف تركـت ربطـة حزامك بريئة[126]!

(١٢٤) Olympos هـو جبـل في بـلاد الإغريـق، اعتقـدوه مسـكناً للآلهة. وغدت التسمية تطلق على السماء بوجه عام.

(١٢٥) Ambrosia هـو طعـام الآلهـة وشـرابهم، حسـب الإليـاذة ٣٨:١٩ و٣٦٩:٥ والأوديسية ٤٤٥:٤).

(١٢٦) يشير الشاعر هنا إلى أن أفروديت القبرصية هي رمز الشهوات الجنسية، ويكني عن ربطة الحزام بممارسة الجنس.

«وكيف أنك تحملين وحدك الحب للأخ (إيروس) ولم تعرفي بعد عضَّة الحب؟

«لكنك ستقولين أن العينين اللامعتين لا شأن لهما مع الزواج.

«أثينا، ولدت بدون عقد زواج، ولا تعرف شيئاً عن عقود الزواج.

«لكن، أمك لم تكن ذات عينين لامعتين، ولا أرطميس.[١٢٧]

«حسناً أيتها الفتاة، إنك من دماء القبرصية، فلمَ تهربين من أسرارها.

«لا تجلبي الخجل لسلالة أمك.

«إذا كنت حقاً تحملين في دمك دم أدونيس «الأسِّيري» الفاتن، فعليك أن تتعلمي المبادئ العاطفية لسيدك المبارك للزواج.

«أطيعي ربطة حزام «البافية» المولودة معها، وأنقذي نفسك من غضب حب الزواج!

«قاسٍ هو الحب، عند الحاجة إليه، وعندما يطلبونه من نساء فإن عقاب الحب يبقى دون تنفيذ.

«إنكِ تعرفين كيف أن «سيرنكس»[١٢٨]، احتقرت نار قيثيرا، وأي ثمن دفعت لقاء كبريائها وحبها لعذريتها.

«إنها تحولت إلى نبتة، ونمت قصبة بديلاً منها، لكونها فرت من حب «بان»، وكيف أنها لا تزال تغني «بان» ورغباته!

(١٢٧) يشير هنا إلى عذروية الإلهتين.

(١٢٨) Syrinx هي كما يسجل أسطورتها أوفيد ابنة لادن، أحبها الإله «بان» ولاحقها، فهربت منه، وطلبت من الحوريات المائيات ومن الأرض الأم مساعدتها، فحوَّلتها إلى قصبة صنع منها الإله مزماره (٦٩١:١).

«وكيف أن ابنة «لادن»[١٢٩]، النهر
الشهير، كرهت فعل الزواج وتحولت
الحورية إلى شجرة كثيرة الوشوشة،
وتجنبت فراش «فويبس»، ولكنها
توّجت شعره بجدائل النبوءة.
«وأنتِ أيضاً عليك أن تتجنبي
غضب الإله المروِّع، لئلا يطالك حب
حار في فورة غضب عظيم.
«لا تحفظي حزامك، بل استعدّي
لباخوس كزميل لك وشريك فراش.
«أنا ذاتي سأحمل شباك والدك
أدونيس، وسأرتب فراش أختي
أفروديت[١٣٠].
«أية هدايا ثمينة سيقدم لك مزلزل
الأرض؟
«هل سيختار المياه المالحة كهدية
عروس، ويجعل جلود الحيتان التي
تنفث الروائح الكريهة من الأعماق،
كأغطية فراش لبوزيدون من البحر؟
«سأجعل الباخوسيات خادمات
لغرفة عرسك و«ساطير» الغابات
حاجبات لغرفة نومك.
«اقبلي مني عناقيد كرمتي أيضاً
كهدية عرس.
«وإذا شئت سلاحاً فتاكاً أيضاً،
كابنة لأدونيس، سيكون لك حربتي
«طيرزو»[١٣١] للقذف بعيداً مع أسنان
الشوكة!
«فاهربي يا عزيزتي من هدير
مزعج لبحر لا يعرف الصمت.
«اهربي من جنون بوزيدون وحبّه
الخطر!

(١٢٩) Ladon هو اسم نهر أسطوري. وقد أطلق على أنهار كثيرة منها نهر «اللدان» في كعب جبل حرمون. والكلمة، على ما يبدو، أوغاريتية في الأساس «لتن» وهي تعني أيضاً الأفعى المتلوية، كما هو النهر المتعرج. وقد وردت كاسم للأفعى في «رحلة الأرغو» (٤:١٣٩٥). ونص أوغاريت هو «لتن بثن برح شليط وشبعة رأسم» أي الحية المتثنية الهاربة ذات الرؤوس السبعة (البعل وعناة ٥:١). وكذلك ورد الاسم باللغة العبرية «ليتن» (أيوب ٤١:١ ومزامير ٧٤:٤ وأشعيا ٢٧:١).

(١٣٠) أخته أفروديت هنا بصفتها ابنة الإله مثله.

(١٣١) Thyrsus حربة خاصة بالباخوسيات، رأسها يشبه كوز الصنوبر، وهي رمز لديونيسوس، ويلف حولها غصن نبات اللبلاب، ويرجح أنها من أسماء الخمر «ث ر ث».

«البحر الأزرق الشعر قد أغرى «ميمونة» أخرى، ولكن، بعد اجتماعهما، تحولت الزوجة إلى ينبوع بذلك الاسم[١٣٢].
«أحب «سكيلا»[١٣٣] وجعلها جرفاً صخرياً في الماء.
«لقد لاحق «أستيريا»[١٣٤] وغدت بعد ذلك جزيرة قاحلة.
«الفتاة «عوبوا»[١٣٥] زرعها في البحر.
«هذا الكائن يتودد إلى ميمونه، فقط ليحولها كذلك إلى حجر، بعد السرير.
«هذا الكائن سيقدم هدية لعرسه، نقطة ماء، أو عشبة بحر من المياه الزرقاء، أو صدفة من الأعماق.
«وأنا، يحتجزني جمالك أمامك هنا، فأية هدايا سأقدمها؟
«إن ابنة أفروديت الذهبية لا تحتاج إلى الذهب.
«فهل علي أن أجلب لكِ أكداساً من كنوز «أليبي»[١٣٦]؟
«فالذراع الفضية لا تهمها الفضة!
«هل أجلب لكِ هدايا براقة من «إريدانوس» المتألّق[١٣٧]؟
«إن جمالك وبياضك الناصع يصيب بالخجل جميع ثراء «هيلياد»[١٣٨].
«إن عنق بيروي هو لامع كالفجر، مشع كالعنبر، وكشرارات الجواهر.
«إن قوامك الجميل يجعل الرخام الثمين رخيصاً.

(١٣٢) Amymone الاسم يعود في الأصل إلى ابنة دناوس المهاجر الكنعاني إلى «أرغوس». والأسطورة كما يرويها أبولودورس هي أن ميمونه كانت تبحث عن المياه، فلاحقها «ساطير» في الغابة أنقذها منه بوزيدون ونام معها. ثم دلها على ينبوع أصبح يعرف باسمها، وله روح تحرسه بشكل أفعى متعددة الرؤوس (١:٢، ٤) وبوزانياس (١٧:٥، ١١) (ح ١).

(١٣٣) Scylla كائن بحري خرافي له ستة رؤوس يعيش على السمك، لا يجرؤ بحار على الاقتراب من مكانه. وهو بشكل فتاة، كما يقول أوفيد (٧٣٠:١٣). وقد تحولت إلى صخرة بعد ذلك (٧٥:١٤). وكانت خطفت ستة رجال من مرافقي أوديسيوس، حسب الأوديسيه (٨٥:١٢).

(١٣٤) Asterèë ابنة كويس وفوبي وأخت «لاطونا» ذات الرداء الأسود، حسب هزيود (مولد الآلهة ٤٠٤)، وحسب أبولودورس (١:٢، ٢). لاحقها فتحولت إلى طائر «السلو» وغاصت في المياه، فغدت جزيرة تغير اسمها فيما بعد إلى «ديلوس» (١:٣، ٦). ويبدو أن الاسم هو لعشتار الكنعانية، وهي توصف بكلمة «طير» في أرض لبنان.

(١٣٥) Euboia جزيرة إغريقية مستطيلة الشكل كان اسمها «ماكريس». ويذكر سترابو أن اسم الجزيرة هو اسم بطلة (٣:١٠). وفيها منطقة تدعى «مرمريوم». كما فيها سكنت مجموعة من العرب الذين رافقوا قدموس إلى بلاد الإغريق، حسب سترابو (٨:١٠) وفيها رأس بحري يدعى «كفاروس» (كفرا) (٦:٨، ٢). وفي الجنوب اللبناني نعرف منطقة صخرية يضرب بها المثل باسم «شقيف عوبا»، ومنطقة أخرى باسم وادي عوبا.
والمنطقة غزاها مهاجرون من الخارج، حسب بوزانياس (٣٢:١، ٣).
ولم يذكر العلاقة مع بوزيدون سوى نُنّوس.

(١٣٦) Alybe يعرف سترابو المكان بأنه «مكان ولادة الفضة، في كبادوكيا (٣:١٢، ٢٠). وهذا التحديد لمكان ولادة الفضة ذكرته الإلياذة أيضاً (٨٥٧:٢).

(١٣٧) Eridanos نهر أسطوري ذكره هزيود كنهر عميق ذي تيارات إلى جانب النيل في مصر ونهر ألفيوس في بلاد الإغريق، (مولد الآلهة ٣٤٠). ويبدو أنه يعني «نهر الأردن» ذا المجرى العميق في منخفض الحوله والبحر الميت. وقد شك هيرودت بوجود هذا النهر، بعد أن بحث عنه في أوروبا (١١٥:٣). كما رأى بوزانياس أنه لا بد من وجوده في أرض «الغوليين» أي فرنسا، وهو يصب في الأطلسي (١:٤، ١). كما نقل سترابو عن كاليماخوس شكه بوجود هذا النهر (١:٩، ١٩).

(١٣٨) Heliades هن بنات هيليوس (الشمس) وأخوات «فايتون». وقد بكين عليه وخدشن صدورهن بأيديهن ونمن على قبره، حين موته، ثم تحولن إلى أشجار تبكي وتتحول دموعها إلى عنبر ثمين، ينقله النهر معه كزينة للنساء، حسب أوفيد (٣٤٨:٢-٣٦٦).

«لن أحضر لك القنديل الحجري
المشع بالنور لأن النور يشع من عينيك.
«لن أجلب لك وروداً في مزهرية أو
في إضمامة لأن الورود في خديك.»

هكذا كان خطابه، ووضعت الفتاة
إصبعين من يديها في أذنيها كي لا
تستمع إلى الكلمات، ولئلا تستمع إلى
خطاب جديد عن الحب، وهي تكره
وقائع الزواج.
– هكذا أضافت صدمة فوق صدمة
لمصعوق الحب لايايوس.
فأي شيء أجرأ من الحب!؟
– عندما النساء يتجنبن الرجال
الذين يتآكل جنون الحب قلوبهم،
يجعلن منهم ضحايا عنف
بتواضعهن.
يتضاعف الحب لدى العاشق
عندما تهجره فتاته.
هكذا كان يتحرق بجموح الرغبة.
وقد ابتعد عن الفتاة، ولكنه كان
منفعلاً بلواعج عذبة، مرة، وقد
استرسل بتخيله أنه في رحلة صيد مع
الفتاة بثوب لا حزام له.

* * *

وعندئذ ظهر بوزيدون من البحر
ينقل قدميه المبتلتين، باحثاً عن الفتاة
فوق التلال الجافة، للأرض الغريبة
عنه.
كان يرش الأرض العطشى بقدميه
المائيتين.

وبينما كان يحث الخطى، فوق السفح الخصب لأرض الغابة، كانت القمم العالية للجبال تهتز بتحركه...[١٣٩]

كان يراقب بيروي وينقل نظره من رأسها حتى قدميها. راح يتأمل فتوتها الإلهية الغضَّة، عندما جلست.

وخلال الرداء الشفاف رأى قوام الفتاة بنظرات ثابتة، وكأن ذلك في مرآة.

ومن ناحية إلى أخرى شاهد الجلد اللامع لثدييها، وكأنها عارية.

وبغيرة لعن اللباس ذا الطيَّات الكثيرة الذي يخفي وسطها.

وتنقل بعينيه المجنونتين بالحب في وجهها. ولم يشبع من النظر إلى قوامها بكامله.

وعندئذ استغاث صريع الهوى، مزلزل الأرض، بقيثيريا البحر[١٤٠]، وحاول بكلمات معسولة التقرب من الفتاة التي كانت تقف قرب قطيع محلي:

«إن امرأة واحدة كسفت جميع جميلات «هيلاس»[١٤١].

«لم تعد بافوس تذكر، ولا لسبوس[١٤٢]، ولم يبقَ لقبرص اسم كأم للجمال.

«ولن أغني بعد اليوم لناكسوس[١٤٣] التي يتغنَّى بها المغنون، كجزيرة للجميلات.

(١٣٩) نذكر هنا أن بوزيدون هو إله الزلازل أيضاً.

(١٤٠) Cytheria هي الجزيرة التي مرت بها أفروديت قبل انتقالها إلى قبرص (ح ٤).

(١٤١) Hellas هي تسمية بلاد الإغريق القدماء.

(١٤٢) Lesbos أكبر الجزر الإغريقية قرب شاطئ آسيا الصغرى، مثلثة الشكل. اشتهرت من أبنائها الشاعرة «سافو» ومدرستها للفتيات. ولا يزال الشذوذ الجنسي لدى النساء يكنى باسمها.

(١٤٣) Naxos مدينة اشتهرت بالخمرة وبعبادة ديونيسوس، وهي من مجموعة جزر «السكلاد» حول ديلوس.

«نعم، حتى لاسيديمونيا (اسبرطة)
– فهي ليس لها هكذا أبناء
وولادات!
«لا تذكر بافوس ولا لسبوس بعد
الآن – فأرض الشمس المشرقة[١٤٤]،
هي مرضعة ميمونه، وهي سلبت
جميع ما لأورخومينس[١٤٥] من مجد،
لأجل منعّمة واحدة تخصها!
«لأن بيروي ظهرت، المنعّمة
الرابعة الأصغر من الثلاث![١٤٦]
«اتركي الأرض أيتها الصبية.
فهذا يلائمك، لأن أمك لم تكن من
الأرض. إنها أفروديت، ابنة المياه
المالحة.
«إني أقدم لكِ بحري الذي لا
نهاية له، هدية عرس، وهو أوسع
من الأرض.
«أسرعي إلى تحدي رفيقة زوس،
بحيث يقول الناس أن سيدة
«كرونيدس»[١٤٧] وزوجة «مزلزل
الأرض»، لهما دور عالمي، لأن
«حورا»[١٤٨] تملك صولجان الأولمبس
الثلجي وبيروي لها إمبراطورية
البحر.
«لن أقدم لك «البصّارات»[١٤٩]
بعيونهن الزائغة، ولن أعطيك
«ساطير» الراقص، أو سايلينس[١٥٠]،
لكن سأجعل بروتيوس[١٥١] خادم
مخدع زواجك، و«غلوكس»[١٥٢]
سيكون تابعاً لك.

(١٤٤) أرض الشمس المشرقة هي هنا أرض لبنان.

(١٤٥) Orchomenos (الحاشية ٤٨).

(١٤٦) Graces كان لهن معبد في أورخومينوس حسب بوزانياس (٩:٣٨، ١) (ح ٥).

(١٤٧) Cronides هو بوزيدون ذاته لكونه ابن كرونوس (ح ١٢).

(١٤٨) Hera يبدو أنها من أقدم إلاهات الكنعانيين. واسمها سامي يفيد البياض، ومنها كلمة «حورية» العربية. وفي الإلياذة ورد ذكر الحور بأنهن يحرسن أبواب السماء (٥:٧٤٩ و٨:٣٩٣)، كما وصفت بذات الذراعين الأبيضين (١٤:٢٧٧) وأن لها عيني بقرة (١:٥٥١). وهذا ما تدل إليه كلمة «حور عين». ووصفها هزيود بكونها ذات الحذاء الذهبي (مولد الآلهة ٩٥٥)، وكذلك ذكرتها الأوديسية (١١:٦٠٤). وهي زوجة زوس الغيورة، كما في الإلياذة (١:٥٣٥–٥٤٨)، وكانت على خلاف دائم معه، فسره الباحثون بأنها كانت تسود بلاد الإغريق قبل وصولهم مع زوس إليها، وينقل سترابو أن لحورا معبداً هاماً في قادش قرب أعمدة هرقل (٣:٥، ٥)، وهو فوق جزيرة تحمل اسمها، مما يعني أنها وجدت مع وصول الفينيقيين إلى هناك في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد. وهذا يثبت كنعانيتها.
كما هناك واد في الجنوب اللبناني قرب بلدة «كفركلا» باسم «وادي حورا». وهناك أرض مع خراب بين يارون ورميش في الجنوب باسم «خلة حوريه» (بمد الراء مع الإمالة). ولعلها بلدة «حورم» المذكورة في يشوع (١٩:٣٨) في تلك المنطقة قرب يارون وعناتا (بيت عناة). وحسب الإلياذة هي كانت تعطف على الدانيين (١:٥٦).

(١٤٩) Bassarids اسم آخر للباخوسيات، الثياديات، تابعات ديونيسوس. وقد فضلنا الإبقاء على الاسم بالعربية لترجيحي بأنه هو ذاته الذي نستعمله بيننا للنساء المتنبئات كاشفات البخت. وهنا نذكر تقليداً شعبياً يقول أن «البصارة» تكون حولاء أو زائغة العينين عادة. وهذا ما يتفق مع نص الشاعر.

(١٥٠) Selinos هو ساطير الغابات، أي الروح الهائمة، والاسم أقدم من اسم الساطير كما يقول بوزانياس (١:٢٣، ٦).

(١٥١) Proteus هو راعي قطعان عجول البحر. وهو مصري، كما تذكر الأوديسية، يعرف جيداً أعماق البحار، وخادم لبوريدون (٤:٣٨٢).

(١٥٢) Glaucos هو ابن سيزيف ووالد «بلو روفون»، حسب الإلياذة (٦:١٥٤). ولكن يبدو أن الشاعر يقصد هنا غلوكس ابن «دميلوس» الروح البحرية، كما يصفه بوزانياس، وكانت له قبضة يد جميلة بحركاتها وجبارة، وكان يربح غالباً بالملاكمة في الألعاب الأولمبية والاستمية (٦:١٠، ١–٣).

«خـــذي «نـــيراوس» أيضـــاً، وملكارت[١٥٣] إذا شئت.
«سـأجعل أوقيـانوس[١٥٤] الهـادر خادماً لكِ، أوقيـانوس الواسـع الـذي يطوق العالم الخالد.
«سـأقدم لـك هديـة زواج، جميـع الأنهار معاً، لتكون وصيفات لك.
«وإذا رضيت بأن تكون لك حاشية أيضاً، سأحضر لـك جميـع بنـات نيراوس.
«واجعلـي «إينـو»[١٥٥]، مرضعـة ديونيسوس، خادمـة لغرفتـك، سـواء شاءت ذلك أم لم تشأ!»

هكـذا كـان ادعـاؤه، لكـن الفتـاة كانت غاضبة، ولم تسمع.

تركهـا وهـو يلقـي في الهـواء آخـر كلماته:
«محظـوظ أنـت يـا ابـن «مـرّه»، فلديـك ابنـة لطيفـة، وقـد تضـاعف الشرف لـك وحـدك. فـأنت وحـدك يدعوك الناس والداً لبيروي، وزوجـاً لمولودة الزبد (أفروديت).»

* * *

هكـذا كـان مزلـزل الأرض يتلقـى الكلمـات، لكنـه قـدم هدايـا متعـددة لأدونيس وقيثيرا، هدايـا عريـس مـن أجل حب ابنتهما.

(١٥٣) Melicertes هو ابن «أثاماس» وإينو ابنة قدموس. وقد أغرقت إينو نفسها في البحر مع ابنها ملكارت، بعد أن جن والده أثاماس وشرد في البراري مع الوحوش في منطقة تساليا. كما في رواية ثانية أن «إينو» ذاتها ألقت ابنها في قدر تغلي وحملته والقته في البحر وهو ميت. وقد دعاه البحارة «بليمون» (بعل هامون) وأقيمت الألعاب الاستمية على شرفه، حسب بوزانياس (٤:٣، ٣) وأبولودورس (٩:١).
وهذا الاجتهاد بحده تفسيراً لتسمية ملكارت الصوري «بعل هامون» في قرطاجة وجوارها. ونرى أن الاسم يمكن أن يكون «بعل يم» أي إله البحر.
ويذكر بوزانياس مزاراً لملكارت وقربه شجرة صنوبر معمرة، مقدسة له في كورنثيا، حيث وجد سيزيف جثته وأقام الألعاب على شرفه (١:٢، ٣).
والأسطورة تكثر فيها التسميات السامية. فالوالد اسمه أثاماس، كما لوالد أثاماس أخ يدعى سلمونس (سلمان) ولسلمونس ابنة تدعى «تيرو» (صور) وقد تزوجها قريثاوس (إقرث) قرب الحدود اللبنانية الجنوبية.
ويرى غريف أن ملكارت هو لقب كان الفينيقيون يطلقونه على ملك كورنثيا، الذي كان يتجدد سنوياً، وكان عليه أن يلقي نفسه في البحر بعد نهاية سنة حكمه (٤:٧١).
والشجرة قرب المزار هي تقليد سامي كنعاني، لا زلنا نجده في قرانا، حيث توجد آثار كنعانية نتوارث احترامها. فهي رمز أدونيس ورمز أوزيريس وغيرهما.

(١٥٤) Oceanus هو ابن أورانوس وغايه، أي السماء والأرض، وفق هزيود في كتاب «مولد الآلهة» (١٣٣). وزوج «تيثس»، ووالد الأوقيانيدات والأنهار المؤلهة (٣٣٨). وفي الإلياذة هو نهر يلف الأرض (٦٠٦:١٨)، كما هو يقع في نهاية الأرض، ومنه ينبعث الآلهة (٢٠١:١٤). وهذه إشارة إلى ظهور الشمس من بحر الشرق وغيابها في بحر الغرب.

(١٥٥) Ino هي ابنة قدموس وزوجة أثاماس الثانية. وقد ألقت بنفسها مع ابنها ملكارت في البحر (ح ١٥٣). وهي ربت ديونيسوس بعد أن قضت صاعقة على أمه «سميله». وحسب أبولودورس ربته، وهي متزوجة من أثاماس (٤:٣، ٣) وقد أخفته بثياب فتاة دعيت «لوكوثيا» بصفتها إلاهة بحر (٤:٣، ٣). وحسب بوزانياس هي الإلاهة لما تحت الماء في البحر (٩:٥، ١). ولها مزار ووحي في لاكونيا، كما لها تمثال برونزي في العراء وقربه ينبوع ماء (٢٦:٣، ١). ولها قرب شاطئ لاكونيا بحيرة صغيرة تحمل اسمها ويلقون فيها خبز الشعير في عيدها (٢٣:٣، ٨).

وديونيسوس، المصاب بالسهم المحرق ذاته، جلب كنوزه: جميع الذهب البراق الذي أنتجته المناجم قرب نهر «الغانج»[١٥٦] أحضره، مع ما فيه من مشاق العمل.

وعبثاً كان يتوسل إلى أفروديت البحر بإلحاح.

لقد قلقت «البافية» لأنها خافت من الخاطبين لابنتهما المطلوبة من الجميع.

وعندما رأت الرغبة والإصرار على الحب بالتساوي لدى الاثنين أعلنت أن على المتنافسين أن يتقاتلا من أجل العروس، إنها مصارعة من أجل الزواج، قتال من أجل الحب.

ألبست القبرصية ابنتها كل لباس الزينة النسائية، وأجلستها فوق حصن بلادها.

الفتاة التي يجري القتال لأجلها ستكون مكافأة عظيمة للقتال.

ثم إنها وجهت للإلهين معاً الكلمات التالية:

«كنت أتمنى بصدق لو أن لي ابنتين لأزوج إحداهما باستحقاق لمزلزل الأرض، والأخرى إلى «لايايوس».

«لكن، لأن ابنتي ليست توأماً والشرائع المنيعة للزواج لا تسمح لنا بأن نزوج فتاة لزوجين معاً يتناوبانها بالتداول، فليكن القتال حاجباً خادماً لعروس واحدة.

(١٥٦) Ganges نهر في شمال الهند ينبع من جبال حملايا ويصب في خليج البنغال. ويزيد طوله على ألفين وخمسمائة كيلومتر. ويريد الشاعر تذكيرنا برحلة ديونيسوس إلى الهند ومحاربته هناك.

فبدون إنجاز صعب لن يكون زواج
من بيروي.
«من يرغب في الزواج بالفتاة عليه
أن يقاتل لأجل ذلك. وليأخذ الرابح
بيروي بدون مهر.
«وعلى الاثنين أن يتعهدا بعهد،
لأني أخاف على جارتها المدينة، وأنا
معروفة كحامية لها، وأخشى أن
أفقد، بسبب جمال بيروي، بلدة
بيروي ذاتها.
«اجعلا اتفاقاً بينكما قبل الزواج،
وهو أنه إذا خسر مزلزل الأرض النصر
لا يقوم، خلال غضبه، بتدمير الأرض
بأسنان شلفته.
«وأن لا يقوم ديونيسوس، خلال
غضبه من اجل ميمونه وعرسها،
بإتلاف كروم العنب التي تخصُّ
المدينة.
«عليكما أن تكونا صديقين بعد
القتال: وأن يكون المتنافسان بقلب
واحد وعاطفة واحدة، فيتفقان بنيَّة
صادقة على تزيين مدينة العروس
بجمال أكثر تألقاً.»

وافق الخاطبان على هذا العرض.
وكلاهما أقسما بكرونيدس والأرض
والفضاء وفيضان «ستيكس»[(١٥٧)]
وشهدت على ذلك «موييرا»[(١٥٨)] إلاهة
الحظ.
وتعاظم الصراع والهياج بقدر تعاظم
الحب.

(١٥٧) Styx نهر في الجحيم يقسمون به الإيمان العظيمة ويشهد على المعاهدات، وهو حسب هزيود متفرع من أوقيانوس (مولد الآلهة ٧٨٨)، وأوفيد (١٢:٣٢٢).

(١٥٨) Moera هي إلاهة الحظ، حسب الإليـاذة (٥:٨٣ و١٢:١١٦). وكذلك في الأوديسية يوصف الحظ بأنه شخص ذو سلطة إلهية (١٦:٦٤). وغالباً ما تترجم الكلمة بالقدر والنصيب.

وزود «الإقناع»، خادم الزواج، الاثنين بالسلاح.

ومن السماء جاء جميع ساكني الأولمبس مع زوس، وجلسوا فوق صخور لبنان، لمشاهدة القتال.

وعندئذ ظهر نذير شؤم لصريع الحب ديونيسوس. فقد انقضَّ صقر كالعاصفة على حمامة كانت تبحث عن غذائها.

وما أن جمع جناحيه المليئين بالهواء حتى انقضَّ عقاب على الحمامة واختطفها عن الأرض، وطار بها إلى أعماق الفضاء، حاملاً الطريدة بين مخالبه.

وأمام هذا المنظر فقد ديونيسوس الأمل بالنصر.

ومع ذلك تقدم للقتال، وقد سُرَّ أبو الخالدين «كرونيون» بالنزال بين الاثنين، وهو يراقب من الأعالي، القتال بين أخيه وابنه بعين باسمة.

النشيد الثالث والأربعون

إليكم النشيد الثالث والأربعين،
فيه سأتغنّى بحرب الأمواج مع الكروم.

ـ ٤٣ ـ



إله الحب فوق دلفين في البحر

هكذا دوّى محرك القتال «أروس»
بصرخة الحرب من أجل الحب
والزواج.
وضعت «إينيو»[١٥٩] قواعد الحرب
من أجل العرس.
وأشعل «هيمنوس»[١٦٠] شرارة
القتال لمزلزل الأرض وديونيسوس –
وراح يرقص داخل المعركة، وهو
يحمل حربة «أفروديت
الاميكلية»[١٦١] البرونزية، بينما ينفخ
لحن الحرب في بوق فريجي[١٦٢].
بين ملك ساطيرات الغابة وسيد
البحر ستكون الفتاة هي المكافأة.

(١٥٩) Enyo إلاهة الحرب لدى الإغريق، ترجمها الرومان باسم «بلّونا»، وهي تنظم صفوف المقاتلين حسب الإلياذة (٥:٣٣٢).

(١٦٠) Hymanous هو اسم من يطلق صيحات الحماسة «هايمن».

(١٦١) Amyclaia نسبة إلى مدينة «أميكلاي» قرب اسبرطة. وفيها تمثال لأفروديت فوق قاعدة نحاسية مثلثة، هي من أسلاب الحرب ضد «مكينا»، حسبما يذكر بوزانياس (٣:١٨، ٧).

(١٦٢) Phrygia منطقة من آسيا الصغرى اشتهرت بكروم العنب، حسب الإلياذة (٣:١٨٤). وكانت من حلفاء طروادة (٢:٨٦٢). ويبدو أنها كانت مشهورة بصناعة الأبواق للحرب.

كانت هـي صامتـة، لكنهـا، غـير
راغبـة في أن يكـون لهـا عـرس مـع
خاطب من البحر.
قد كانت تخاف من «عرزال» مائي
للحـب في أعمـاق المـوج، وتفضـل
باخوس.
لقد كانت مثل «ديانيرا»[(١٦٣)] التـي
في ساحة القتال وضجيجه من أجلها،
فضلت هرقل، وكانت تخشى الزواج
من نهر متقلب فوق قرن ثور.
كـانت سماء بـدون غيـوم تـدوي
بصرخـات القتـال، تحـت قبتهـا
المستديرة.
لقد تسلح البحـر، الأزرق الشعـر،
بشـلفته الأسـيِّرية، رمحـه البحـري،
وراح يطلق زمجرة مخيفة من حنجرته
الهائجة.
وديونيسـوس راح يهـدد البحـر
ويرقـص في ميـدان المعركـة بقضبـان
الكرمة، وهو يحمل رمحـه «طـيرزي»
جالسـاً في عربـة أمـه «رحيَّـه»[(١٦٤)]
الجبلية.
وعلى طرف العربة «المغدونية»[(١٦٥)]
كـانت «داليـة» قـد نبتـت تلقائيـاً،
وغطت قامة باخوس بكاملهـا، ولفتـه
بأوراقها وعناقيدها وعساليجها.
وكان أسد مقرون بالنير يهز عنقـه
ويحفر الأرض بمخالبه الحادة، بينمـا
يطلق زئيراً مروّعاً من شدقه المتشـابك
الأنياب.

(١٦٣) Deianira هي زوجة هرقل وابنة «أوانس». وقـد حـارب هرقل النهر «أخلاوس» لأجلها. وكان هـذا بشكل ثور، فكسر لـه أحـد قرنيه وتزوجهـا، حسـب أبولـودورس (٧:٢، ٥). وحسـب ديـودورس الصقلي هـو حـوّل مجرى النهر في كليدونيا وانتقـل معهـا ومعهمـا ابنهمـا هيلوس. وعندما حاولا اجتيـاز نهـر «أوانس» حـاول القنطـور «نسّوس» الاعتداء عليها بعد أن نقلها عبر النهر، فاستنجدت بهرقل الذي ضربه بسهم قاتل (٤:٣٦)، وكذلك أوفيد (٩:١ - ٢٥٠).

(١٦٤) Rheia هنا يربط الإلاهة بجبال لبنان (ح ٢٢).

(١٦٥) Mygdon حسب الإليـاذة هـو أحـد قـادة جيش الفريجيـين الذين حاربوا النساء الأمازونيات، وقد وصفته بالشبيه بالآلهة (٣:١٨٦).

وفيل، كان يسير بتؤدة، مقترباً من عين ماء، يضرب الأرض بقوائمه التي لا تنحني فيكرع بخرطومه المياه بشفتين ظامئتين إلى أن نضب الينبوع.

وعندما ظهرت الأرض العادية تحت الماء طرد حورية الماء من الينبوع، عطشى لا يغطيها دثار.

وفي الوقت ذاته كان سيد المياه يستعد للمعركة.

بدت الفوضى بين النيريات، إلاهات المياه. وقد جئن من البعيد في البحر لينظمن صفوفهن.

جلدت قضبان الكرمة الطويلة مياه البحر، بيت بوزيدون.

اهتزت كهوف الجبال بالشلفة المثلثة الرؤوس وتقلعت كروم لبنان من جذورها.

وثبت «الثياديات»[١٦٦] على قطيع من العجول السوداء لبوزيدون كانت ترعى قرب البحر.

وانقضت واحدة على ظهر عجل سمين فقصمته.

والثانية انتزعت من رأسه القرنين الكبيرين.

وأخرى بقرت بطنه برمح «طيرزي» المدمر.

وغيرها انتزعت فخذ المخلوق بكامله.

(١٦٦) Thyiades هن الباخوسيات المايناديات، البصارات (ح ١٤٩).

وفي حالة نصف موت انهار العجل، وراح يزحف بدون قوة على قفاه فوق الأرض. وخلال زحفه فوق التراب، بجروحه الجديدة، انتزعت إحداهن فخذيه الخلفيين، وواحدة منهن تناولت قائمتيه الأماميتين، وقذفت بحافريه عالياً يدوران في الفضاء.

حشد ديونيسوس ضباطه وجعل منهم خمس فرق للقتال المائي.

الأولى بقيادة الكيليكي «أوانيوس»[١٦٧] ابن «أيروثاليون» الذي ولد من «فيليس» قرب طورس في الهواء الطلق.

والثانية بقيادة «هليكايون»[١٦٨] ذي الشعر الأسود واللون الأبيض بخدين موردين وضفائر شعر طويلة تنوس حول عنقه.

والثالثة بقيادة «أوينوبيون»[١٦٩]، والرابعة كانت خلف «سطافيلوس»[١٧٠].

وولدان من أبناء أب مدمن للخمر «أوينوماوس»[١٧١]:

ميلانثاوس[١٧٢] كان قائداً للخامسة ولضابط هندي مع ابن أوينوني[١٧٣]، روح الكرمة: وهي كانت لفت الولد بمجموعة من «القلاحين» المورقة، ذات الرائحة الخمرية، كقماط له وغطسته في جرن معصرة مليء بخمر قوية.

هذا كان جمهور باخوس، إله الخمر، وكان مسلحاً بقضبان الكرمة.

(١٦٧) Oineus هو بطل محارب ووالد ديانيرا زوجة هرقل. كان ملكاً على كليدونيا وكان أول من تلقى كعب دالية من ديونيسوس، حسب أبولودورس (١:٨، ١). وتمدحه الإلياذة بوصفه بطلاً فارساً (١١٩:١٤). لكن يبدو أن المقصود هنا هو غير هذا. وحسب المترجم الفرنسي «دي مرسلس» فإن الاسم هنا يعني الرحيق أي الخمر وولده هو العنقود «إيروثاليون» ووالدته «فلس» هي القضبان المورقة.

(١٦٨) Helicon هو ابن «أنتنور» القوي وزوج «لاوذقيا» ابنة بريام الأجمل، حسب الإلياذة (١٢٣:٣) وهو هنا العساليج الملتفة.

(١٦٩) Oinopion يعني هنا شارب الخمر.

(١٧٠) Staphylos العنب.

(١٧١) Oenomaos الثمالة.

(١٧٢) Melantheus تعني الكلمة هنا السواد. وهي إشارة إلى لون الهنود.

(١٧٣) Oinone اللفظة هنا تعني الخمرة القوية المسكرة.

وبينما كان يزودهم بالسلاح وجه
لهم باخوس الكلمات المثيرة التالية:
حاربن أيتها «البصَّارات»! عندما
يكون «لايايوس»، تحت السلاح
اجعلن أقصاب النفير تعزف بلحن
حربي ليجيب على دوي صوت
الأصداف.
اجعلن الصنوج البرونزية تضرب
بدوي عال ضربات مزدوجة.
ادفعن «مرون» الراقص في القتال
ليطعن «غلوكس»[(١٧٤)] بالرمح
«طيرزي» القاتل للرجال.
اربطن شعر بروتيوس[(١٧٥)] بكعب
كرمة، وهو أمر جديد عليه!
اجعلنه يترك المياه المصرية لجزيرة
فاروس[(١٧٦)] ويستبدل بجلود عجول
البحر جلود ظباء، ويحني رقبته
الجريئة أمامي.
اجعلن «ملكارت يحارب
«سيلينوس»[(١٧٧)] شارب الخمر إذا
استطاع.
علِّمن «فوركس»[(١٧٨)] الشيخ كيف
يترك أعماق البحر ويسكن في
«تمولس»[(١٧٩)]، ويحمل الطيرزي -
اجعلن الشيخ زرَّاع كروم على الأرض.
اجعلن الساطير يقف بسرعة،
ويهز أغصان «الشومر» وبيديه
الخشنتين الفلاحيتين ينقل النيريات
العطشى إلى البر.

(١٧٤) (راجع الحاشية ١٠٠ والحاشية ١٥٢).

(١٧٥) (الحاشية ١٥١).

(١٧٦) Pharos هي اليوم شبه جزيرة، وعليها كانت منارة الإسكندرية، إحدى عجائب الدنيا السبع قديماً.

(١٧٧) (ح ١٥٠).

(١٧٨) Phorcys ابن بونطس (البحر) والأرض. وقد وصفه هزيود بالمتكبر (مولد الآلهة ٢٣٧)، ووصفته الأوديسية بأنه أمير البحر الذي لا يتعب (١:٧١). وهو حسب أبولودورس والد «سكيلا» ذات الرؤوس الستة (الخلاصة ٧:٢٠)، وهو والد «الغورغونات والفوركيدات» (١:٢، ٦ و٢:٤، ٢).

(١٧٩) Tmolus جبل في ليديا ومسكن لإله يتعاطى القضاء والعدالة (أوفيد ١١:١٥٦)، استعاره هنا للتكنية عن جبال لبنان.

أحِطـنَ شـعر بليمـــون[١٨٠] (بعــل
هامون) بحزم من قضبان الكرمة ، مــن
كرم حديــث الـزرع. وأحضـرن قـائد
العربة البحرية هذا من أعماق الخليـج
الأزرق ، ليكون خادماً لـلأم «رحيـه» ،
وليقود أسودها بسوطه ، لأني لا أنـوي
ترك ابن عمي في الأعماق.
سأجعل الجيــش البحـري المهـزوم
يرتدي ثياب الظباء.
أعطـــين الصنـــوج للحوريــــات
«النيريات» ، غير المدربات عليها.
اجمعـن المائيـات بالباخوســيات ،
وحافظن فقــط علـى البيـت المضيـاف
للإلاهة «ثيتس»[١٨١] برغم كونهــا مـن
مواليد البحر.
ألبِســن قدمـــي «لوكوثيـــا»[١٨٢]
العاريتين حذاء طويل الساق.
اجعلـن «دورس»[١٨٣] تظهـر علـــى
اليابسة ، وارفعن مشعلي السحري مع
الباخوسيات المخمورات.
اجعلـن «بانوبيـــا»[١٨٤] تحــرك
نباتـات الأعمـاق ، وتضفــر جدائلهـــا
بضفائر من الأفاعي.
اجعلـن «إيدوثيـا»[١٨٥] المســتعصية
تقبل ضجيج الدفوف.
فماذا يُضر لو قامت «غلاطيـة»[١٨٦]
بخدمة ديونيسوس ، ما دامــت لديهـا
عاطفة موازية لحبه المجنون؟
لم لا تقــوم بحياكـة ثــوب بيديهـا
الماهرتين ليكون هدية عرس لميمونـه ،
ملكة لبنان؟

(١٨٠) Palaimon هو ملكارت ذاته (ح ١٥٣). وهو في الأساس «بعل هـامون» الكنعاني، وقـد ورد ذكـره كاسـم لموقـع في نشيد الإنشاد «كان لسليمان كرم في بعل هـامون» (١١:٨). ويشـير الشـاعر في النص إلى القرابة بين ديونيسوس حفيد قدموس وهرقل - ملكـارت معبـود صـور. وهو يشدد على هذه القرابة في النشيد الأربعين من مجموعته، الخـاص بعـور (س ٣٥٦).

(١٨١) يشير هنا إلى أن «ثيتس» هي التي أنقذت هيفايستس، بعد أن تخلّت عنه والدته وطردته من الأولمبس (ح ٦٧). وهي من نيريـات البحـر، حسب هزيود في «مولد الآلهة ٢٤٧».

(١٨٢) Leucothea هي إلاهـة بحريـة، تجعلهـا الأوديســية اسـماً لإينو، ابنة قدموس (٣٣٤:٥). وهكذا هي والدة ملكارت (ح ١٥٣).

(١٨٣) Doris هي والدة النيريات وزوجة نيراوس (ح ١٣).

(١٨٤) Panopia هـي مـن نيريـات البحـر، حســب الإليـــاذة (٤٥:١٨).

(١٨٥) Eidothea اسم لنيرية بحرية يـورده نُنّوس هنـا ناسباً إياهـا لمصر.

(١٨٦) Galateia حورية بحرية وصفها فرجيـل بأنهـا ابنـة نـيراوس المواجهة للزبد (٩٦:٩). وقد ذكرتها الإلياذة بصفة «الممجدة» مـع دورس وبنوبيا (٤٥:١٨)، وكذلك في «مولد الآلهــة» لهزيـود (٢٤٥). وغلاطيـة هي منطقة جغرافية تقع بين فريجيـا وكبادوكيـا، اشـتهرت في رسـائل بولـس الرسول.

لا ، دعن عائلة النيريات وحدها.
لا أريد وصيفات من البحـر، لئـلا
تثور غيرة بيروي.
اجعلن «بـان»[187] ، شيخ سلسلة
الجبـال ، الفخـور بشعاب القـرون في
مقدمة رأسـه ، يقبض علـى بوزيـدون
بيد بدون سلاح ، ويطعنه بقـرن حـاد
ويضربه في الصدر بحرابه المعوجّة.
اجعلنـه يكسـر بحوافـره حلقـات
ظهـر «تريتـون»[188] فـوق الصخـور ،
حيث تلتقي طبيعتاه الاثنتان.
اجعلن غلوكس[189] ، الرفيق المـائي
لمزلـزل الأرض ، خادمـاً لبـاخوس ،
ويرفـع الصنـج الصـاخب الخـاص
برحيه ، معلقاً بسيور بعنقه.

لا أحـارب مـن أجـل بـيروي
وحدهـا ، وإنمـا مـن أجـل المدينـة ،
مسقط رأس عروسي[190] .
فعلى مزلزل الأرض أن لا يزلزلها ،
كي تبقى بدون هـزات ، برغـم كونهـا
في البحر الذي هو سيده.
عليه أن لا يدمرها بشلفته الثلاثيـة
الشـوكة ، لأنـي أواجهـه بسـلاح ،
فالواحد منا مقابل الآخر.
وإذا كـان البحـر جـاراً لهـا فهـي
لديهـا كـروم بملايـين العرائـش
لباخوس ، دلالة على انتصاري.
إنها منتشرة قرب الشاطئ.

(١٨٧) Pan (ح ١١).

(١٨٨) Triton نهر خرافي اسمه غير إغريقي، يقال أنه حمل معه الإلاهة أثينا من بحيرة «تريتون» في ليبيا، حسب بوزانياس (٩:٣٣، ٥). وطبيعتاه الاثنتان هما البرية، حيث ينبع، والبحرية لكونه مياهاً.

(١٨٩) Glaucos (ح ١٥٢).

(١٩٠) في هذا المقطع يكشف لنا الشاعر رمزية ملحمته، ويوضح لنا طبيعة الصراع السياسي من أجل بيروت، بين أن تتبع للبر، أي الشرق، أو للبحر، أي الغرب. وهو الصراع الثقافي الخالد لهذه المدينة.

أمّـــا بخصـــوص «بـــلاس»[١٩١]
القديمة ، وكما يريـد بـاخوس ، يمكـن
لككروب[١٩٢] جديـد أن يكـون حكمـاً
ليقضـي بـأن تعلــن الكرمــة داعمــة
للمدينة ، كما هو الزيتون لها.
وعندئذ سأجعل المدينة ذات شكل
آخر.
لن أتركها قرب البحر، بل سأمهد
التلال الوعـرة بسـلاحي وأردم الأزرق
العميق قرب «بيريتس» ، جاعلاً الميـاه
أرضاً يابسة ، ذات حجارة وصخـور،
وأمهد الطرق البرية فأجعلها مسـتوية
بالحربة الحادة[١٩٣] (طيرزي).
هيـــا ، حـــارب ثانيـــة يـــا
ميمـالون[١٩٤] ، الواثـق مـــن انتصـــاره
الثابت ، فإن درعي الجلدي هو أحمر
من دماء العمالقة المذبوحين حديثاً.
لا يزال الشرق ذاته يرتعد أمامي.
لقد أحنى أريس[١٩٥] الهندي عنقه
حتى الأرض.
وهايدسبس الشيخ[١٩٦] يرتجـــف
ويـذرف الدمـــوع ، دموعـــاً كطوفانـــه
للتوسل !
وعندما أربح عروسي اللبنانية بعـد
الحرب في البحر أتعهد بمنحة لمزلـزل
الأرض ، العاشق.
فــإذا شــاء يمكنـــه أن يغنــــي في
عرسي ، على أن لا ينظر بارتيـاب إلى
بيروي التي تخصني.

* * *

(١٩١) Pallas هو لقب لمدينة أثينا الإغريقية. ولـدى أبولـودورس قصة رمزية عن ذلك، وهي أن أثينا الإلاهة سلخت جلـد «بـلاس» والتفـت به ليحميها في القتال (١:٤، ٢) وهو لدى هزيود أحد التيتان (مولـد الآلهـة ٣٧٦).

(١٩٢) Cecrops (ح ١٦) وبلاس هي أثينا وقد كان عليها صراع مع بوزيدون فأنبتها شجر الزيتون فيها للإلاهـة في الـبر، بوزانيـاس (١:٢٧، ٢). وهذا ما يقارن به صراع بيروت.

(١٩٣) إنهـا نبـوءة شـاعر مبـدع، وكأنـه يتحـدث عـن مشـاريع ردم البحر في زمننا، مع انتشار المدينة على التلال المحيطة بها تحت اسـم بـيروت الكبرى.

(١٩٤) Mimallones لا وجود لهذه الشخصية غير عند نُنّوس.

(١٩٥) Areus الهندي يطلق اسم إله الحرب على محاربي الهند.

(١٩٦) Hydaspes زعيم هندي هزمه ديونيسوس.

هكذا تكلم ديونيسوس وأجاب
البحر الأزرق الشعر بصوت مهدد،
ساخراً منه:
«إني خجل من مواجهتك يا
ديونيسوس، لأنك تريد أن تحارب
الشلفة المثلثة الشوكة، بينما أنت
هربت من فأس ليكورغ[197].
انظري هنا يا ثيتس! هنا عودة
لطيفة للحياة والسلامة يحققها
ديونيسوس اللاجئ إليك ويقدمها
للبحر المضياف!
لا أفاجأ يا حامل المشعل: فالنار
أحرقت والدتك عندما ولدت أنت،
وأنت تتصرف هنا كما تفعل
النار[198].
قف، وساعد يا عزيزي تريتون -
قيِّد الباخوسيات واجعلهن بحريات!
يمكن للصنوج التي يملكها
سيلينوس فوق الجبل المجاور للبحر
أن يبتلعها البحر.
يمكن للموج أن يجرفه معها.
يمكن للساطير العائم، فوق
الطوفان الجارف أن يذهب مع
مزماره «الأوياني» بالمياه المتدفقة.
يمكن للبصّارات أن يهيئن السرير
لي بدلاً من لايايس في كهفي
البحري.
لا، لا أريد ساطيرا.
لا أجر مينادات إلى الأعماق،
فالنيريات هن أفضل.

(١٩٧) Lycurgos تصفه الإلياذة بأنه ابن «درياس» القوي الذي لم يعش طويلاً، والذي حاول أن يحارب مع آلهة السماء المضيئة الذين طردوا حاضني ديونيسوس المنتشي عن التلال النيسية المقدسة جميعاً... وقد ارتعب ديونيسوس وغاص في أمواج البحر، فأخذته «ثيتس» إلى حضنها. وقد غضبت الآلهة على ليكورغس وابتلاه ابن كرونس بالعمى، فلم يعيش طويلاً بعد ذلك (٦:١٣٠ - ١٤٠).

وحسب أبولودورس هو ملك «الإيدونيين» ابن درياس، أصابه ديونيسوس بالجنون عقاباً له، فقتل ابنه لأنه ظنه كعب كرمة. وأجدبت الأرض، فأوحى الآلهة لأتباعه بأنها تعود إلى خصبها إذا هم قتلوا ليكورغس وحكم عليه ديونيسوس بالقتل بتقطيعه بواسطة الخيول (٣:٥، ١).

(١٩٨) يشير الشاعر هنا إلى موت «سميله» والدة ديونيسوس بالصاعقة.

لكــن دعــوا الميمالونــات يرويــن
عطشهن في البحر ويغصن فيــه، بـدلاً
مـن أن يطفـن ثمـلات مــن الخمــر.
اجعلوهن يشربن من مياهي المالحة.
دعـوا الكثــيرات مــن البصّــارات
الهـاربات مــن سـلاح بروتـوس المـائي
ينجرفـن ويســقطن بـدون هــدف في
البحر، بحيث تخطون خطوات رقص
في موت لايايس.
جــروا مجموعــات الأثيوبيــين
وجحـافل الهنــود، ليكونــوا غنــائم
حرب للنيريات.
اجلبــوا بنــات الحوريــــة
«قصيبيا»[١٩٩]، ذات اللسـان الشـرير
كجواري لدورس وككفارة متأخرة.
«دعوا أوقيانس يطرد سيريوس[٢٠٠]
السكرى من الأولمبس.
«إنهـا قـائدة الرقــص في معــاصر
الخمر.
«كما اجعلوه يغمر بفيضانه الذي لا
يقاوم، النجم الملتهب لميرا (المجرّة).
«وأنـت يـا بـاخوس الليـدي[٢٠١]،
اتـرك حربتـك طيرزي وابحـث عــن
سلاح آخر.
«تخـلَّ عـن لبـاس جلـود الظبـاء
المرقطـة، هـذا الـرداء الحقـير المغطـي
لأعضائك.
«وإذا كانت نار زوس هــي قـابلتك
في ذلك الزواج، فحارب بالنار الآن يا
مولود النار!

(١٩٩) Cassiepeia هي زوجـة «كيفـا»، ملـك مدينــة «يافـا» الكنعاني (ح ٦٨).

(٢٠٠) Seirios هـو النجـم اللامـع في مجموعـة «الكلـب»، يدعـى بالعربية «الشعري اليمانية». وقد عبدهـا العـرب في الجاهليـة، لأنهـا تقطـع السماء بالعرض كما يقولون. وهذا ما أراده الشاعر بالقول أنها «لا تغيـب في البحر». ويشير هنا إلى دلالة زمنية لموعد عصر العنب. والنجم هو مـن مجموعة «ميرا».

(٢٠١) يتفق الباحثون على أن تسـمية بـاخوس هـي كلمـة «ليديـة». ولهذا هو يذكرنا بأصل التسمية.

«حارب الآن بصواعق والدك ضد
صاحب الشلفة المثلثة. حرِّك البرق
واستعمل درع والدك.
«فليس دريادس[202] من يواجهك.
وليس هذا القتال مع ليكورغس،
وليس مناوشة عربية صغيرة، إنما
خصمك هو البحر الكامل القوة.
«السماء لا تزال تضطرب أمام
شلفتي من الأعماق، وهي تعرف ماذا
يعني القتال مع البحر.
«البطل فايتون أيضاً في مسيرته
العلوية أحس برأس شلفتي الثلاثية،
عندما أعلنت الأعماق حرباً نجومية
مرعبة من أجل كورنثيا[203].
«ارتفع البحر إلى الفضاء، واستحم
نجم الدب الأكبر، العطشان في
المحيط.
«ووجد كلب ميرا (المجرَّة) مياهاً
مالحة بمتناول يده ليستحم ويبرد
ذقنه الساخنة.
«الأعماق السفلى للمياه ارتفعت
أمواجاً كالأبراج بحيث التقى دلفين
البحر دلفين الفضاء[204] وسط
التيارات المتدفقة!»
وبينما كان يتكلم، كان يهز
بشلفته المثلثة الأماكن السرية للبحر،
فيهدر الموج على الشاطئ، ويجلد
الفيضان الجارف الفضاء بتيارات
مدوية من الماء.
تهيأ جيش البحر بدروعه المائية.

(٢٠٢) Deriades رئيس قبيلة حاربه ديونيسوس.

(٢٠٣) يشير هنا إلى النزاع بين بوزيدون والشمس على ملكية «كورنثيا» وقد حكم بينهما «برياروس»، فأعطى الشمس القمة فوق المدينة وأعطى بوزيدون السلطة على برزخ كورنثيا، حسب بوزانياس (٢: ١، ٦).

(٢٠٤) دلفين الفضاء هي مجموعة نجوم بشكل دلفين يطلق عليها هذا الاسم.

وقرب ملجأ كرونيون، المبتل بالماء،
راح ملكرت يهز حربته من الأعماق ويكدن عربته البرية، الاستمية[٢٠٥].
وقذف إلى جانب العربة المولودة في الماء شلفة ملك البحار، وداعب سطح الماء برمحه المثلث الشوكة.
وكان زئير الأسود الهندية يتجاوب مع صهيل الخيول.
انطلق في طريقه المائي، وبينما كانت العربة تسرع لم تكن الحوافر تبتل، أو تغرق في الماء، بل كانت تلامس السطح فقط.
استجاب تريتون العريض اللحية للقتال العنيف.
هو له شكلان من الأعضاء: شكل إنساني وجسم مختلف؛
إنه أخضر من الخصر حتى الرأس، هذا نصفه.
لكن، من خاصرتيه المبتلتين ينبعث ذيل سمكة، ينتشر بزعانف تحت الماء.
وغلوكس[٢٠٦] كان يكدن مجموعة قرب ملجأه في البحر. تلك المجموعة كانت تنطلق بسرعة العاصفة.
وفي حين كانت تجري بأقدام جافة، كان يجلد أعناق الخيل بسوط دائم الحركة ويلاحق الساطيرات.
وفي ضجيج الأمواج العالية كان «بان» ذو القرون يدوس بخفة فوق المياه التي لم يدسها أحد، ويضرب البحر هو ذاته بأظلافه الماعزية، دون أن تبتل.

(٢٠٥) إشارة إلى الألعاب «الاستمية» التي أقيمت على شرفه (ح ١٥٣).

(٢٠٦) Glaucos (ح ١٥٢).

كان يقفز بسرعة ليضرب البحر بعصاه، وهو يصفر لحن الحرب على مزماره[٢٠٧].
وسمع عندئذ فوق الأمواج ترداد صوت تحمله الريح، فأسرع فوق البحر بقدميه الجبليتين يبحث عن الأصوات الأخرى.
وهكذا فإن الصدى البحري الناتج عن مزماره في الهواء غدا أسيراً كذلك.
اقتطع أحدهم جزيرة صخرية راسخة، وألقاها على الهيدرياد[٢٠٨]، ولكن الصخرة لم تصب النيريات، وإنما هزت كهف بليمون بين النباتات البحرية.
ترك بروتوس أمواج بحر «بالين»[٢٠٩] وتسلّح بدرع من جلد فقمة البحر.
التف حوله بسرعة فريق من الهنود السود، بأمر من باخوس، مع جماعات من ذوي الشعر الأجعد، راحت تحيط براعي عجول البحر، المتعددة الأشكال.
اتخذ الشيخ بروتوس أشكالاً مختلفة، وهو في قبضتهم، جاعلاً من أعضائه عدداً من الصور الخيالية.
جعل من جسمه فهداً مرقطاً، ومن أعضائه شجرة، واستقام على الأرض كجذع نام من تلقاء ذاته، وراح يهز أوراقه، ويردد صفيراً للريح الشمالية.
لوّن ظهره بألوان، وراح يزحف، كما تفعل الأفعى.

(٢٠٧) Pan (ح ١١).

(٢٠٨) Hydriads هن النيريات أنفسهن بمعنى «المائيات» هنا (ح ٤٦).

(٢٠٩) Pallene منطقة بحرية تعتبر مركزاً للإله «بروتوس»، راعي عجول البحر. وهي شبه جزيرة (ح ١٥١)، وثوكيديدس (٤:١٢٩).

كـــان يرتفـــع ويتلـــوّى، ضاغطـــاً صـدره، وبحركـة راقصـة مـن طــرف ذنبه الملتف راح يدور ويرفـع رأسـه، ويبعث فحيحاً من حنجرته الواسعة، ومن فكيه المكشرين كـــان يطلـق نفثـة من السم.

وهكذا، من شكل إلى آخر وهمــي، كان يتغير، وقد اتخذ شكل أسد، ثـم شكل خنزير، ثم ساح كأنه ماء.

تشبث الفريـق الهنـدي بالموجــة المائيـة بقبضـــات مهـــددة. ولكنهـــم وجدوها، كمظهـــر مــائي، تفلـت مـن أيديهم.

هكذا تحول الصنّاع الشيخ إلى عــدة أشكال مختلفـــة، كالأشـكال المختلفـة لبريكليمينوس[٢١٠] الذي قتله هرقـــل، لمــا سـحق بـإصبعين الشـكل المزيــف للنحلة.

التفّت أسراب مــن وحـوش البحـر حـــول الشـــيخ في حملتـــه إلى الأرض اليابسة، بينما الماء يتنــاثر مـن جـراء زئـير عظيـم تطلقـه أشـداق الفقمـــات الهاوية للرمال.

تسلّح نـيراوس القديـم بــــالحراب البحريـة وقـاد كتيبـة مـن بناتـــه إلى الصراع الأوياني[٢١١].

وبشلفته، المثلثة الشوكة، لاجتيـاز البحــر، وثــب علـى الفيلــة المخيفــة ليواجـهها. وتدحرج عدد من الصخور علـى طـول الشـاطئ ليفسـح الطريـــق تحت رمح نيراوس.

(٢١٠) Periclymenos هـو حسـب «يوريبيـدس» ابـن بوزيـدون (الفينيقيات ١١٥٧). وحسب الإلياذة هو ابـن نيـلاوس، أحـد اثني عشـر (٦٩:١١). وكذلك في «رحلة الأرغو»، وقد منحه بوزيـدون قـوة خارقـة وقدرة على التحول إلى أي شكل يريد، أثنـاء القتـال (١٥٦:١). وحسـب أوفيد كان ملكاً لبيلوس، وقد قتله هرقل مع أخوته جميعاً وكان هو قد تحـول إلى شكل نحلة (٥٥٦:١٢).

(٢١١) Euian صوت صرخة الحرب.

وأطلقت قبائل النيريات معاً
صيحة النصر لوالدهن.
كن عاريات وأنصافهن بارزة من
الماء، أسرعن كفرقة هائجة للحرب
فوق البحر.
أسرعت «إينو»[٢١٢] التي لا تهدأ،
وبدون سلاح إلى النزاع مع
الساطيرات، وقد عادت مرة أخرى
إلى جنونها.
راحت ترغي زبداً أبيض من فمها
وشفتيها المتوترتين.
وبانوبيا[٢١٣] المرعبة، اندفعت
داخل المياه الهادئة، وهي تجلد
الظهر الأخضر للبؤة بحرية.
وغلاطية أيضاً، حورية البحر،
كانت تحمل عصا «بوليفيمس»[٢١٤]
صريع حبها، وقد هاجمت باخوسية
متوحشة كانت سكرى.
وهيبوثيا[٢١٥]، كانت تعتلي ظهر
سمكة بحرية بثبات وهي ترتفع فوق
الموج.
وأحدهم، كان كفارس مدرب في
السيرك، استدار بمهارة إلى الشمال
قرب الحد وهو يشكم الحصان،
وقذف الحصان الذي إلى اليمين وهو
يطلق العنان لحصانه ويستعمل
المنخس ويحثه بعبارات التهديد.

(٢١٢) Ino هي ابنة قدموس ووالدة ملكارت. وقد غدت إلاهة بحرية (ح ١٥٥).

(٢١٣) Panopia هي إحدى النيريات، حسب فرجيل (٥:٠٤٢).

(٢١٤) Polyphemos سكلوب عملاق بعين واحدة، احتجز أوديسيوس وأتباعه في كهفه مع الأغنام، فقاموا بفقء عينيه بالنار وهربوا من الكهف (الأوديسية ١:٧ و٩:٤٠٣). وقد سجل أوفيد أسطورة حبه لغلاطية. وكانت هذه تحب شاباً جميلاً اسمه «آكس»، فكرهت السكلوب بمقدار حبها لآكس (٨:٧٥٢). ويشير هنا إلى عصا «بوليفيموس» لكونها كانت خشبة صنوبر. وكان مزماره مؤلفاً من مئة قصبة، مجموعة معاً، فيصل بصوته إلى الجبال المحيطة به حتى قممها (٨:٨٨٤). ويصف أوفيد بأن غلاطية كانت تنفر منه كنفور عجلة متوحشة، وبقسوة كسنديانة معمرة، وبمراوغة كموجة ماء، وبثبات كالصخرة، ودون رحمة كتيار نهر جارف، وعجرفة كالطاووس، وحارقة كالنار...
وشاهد بوليفيموس الحبيبين مرة معاً، ففرت هي إلى البحر، ولاحق هو آكس، واقتلع صخرة كبيرة رماه بها فسحقه. وتحول هذا إلى ينبوع يحمل اسمه (٨:٧٥٢ - ٩٠٠).

(٢١٥) Hypothea هي إحدى النيريات (أبولودورس ١:٢، ٥).

انحنى، واحدودب، وثبت ركبتيه على العربة، ثم انثنى إلى جانبه، وتخلص من المقطورة بسرعة، وبينما كان يداعب الحصان بمهارة ولطف بسوطه، التفت إلى الخلف ليلقي نظرة إلى الوراء، كي لا تغيب العربة المنافسة التي تتبعه عن عينيه.

هكذا كانت النيريات تحث الأسماك للقتال حتى نهاية الشوط البحري، وكأنها خيل سباق.

وواحدة أخرى كانت تطلق العنان لدلفين تعتليه وهي تنظر من فوق الماء، فتنطلق بسباق بحري، مسرعة، وكأنها في بحر هادئ، تقوم بسباق محموم، وقد انتهى ذلك باختراق الدلفين المتوحش بين جماعة من رفاقه، وهو بالكاد يكون منظوراً.

وحملت الأنهار بتياراتها، وهي تزأر، مشجعة سيدها ضد ديونيسوس.

وزأر أوقيانوس من بطنه المائي وحنجرته المتدفقة دائماً، بينما نفير بوزيدون ينطلق، معلناً المعركة.

تجمعت الأعماق ودارت وانتفخت، استجابة لشلفة بوزيدون.

التقت تيارات ميرتو (بحر ايجيه) بالإيكارية، وتيارات سردينيا بمياه الهسبريد. والإيبيرية بالأمواج العالية على شواطئ البحر الكلتي. والبوسفور الذي لا يهدأ دمج تياراته المتلوية بالبحرين في جواره.

وارتفعت مياه الأعماق من البحر الأيوني بفعل عواصف الرياح فصدمت التيارات الإيجيه.

وارتفع الأزرق الأدرياتيكي عالياً حتى الغيوم، وبأمواج كالأبراج ضرب أقدام صقلية الغاضبة.

وتناولت النيرية الليبية صدفتها في مياه سيرتيه[٢١٦]، وراحت تنفخ في بوقها البحري.

وعندئذ انطلق واحد من بين الأمواج وسار فوق اليابسة واضعاً قدمه اليسرى فوق صخرة، وباليمنى دمر رأس جرف بخطوة زلزالية. ثم قذف به على راس «مايناد» صلب.

وملكارت اندفع بشوكته البحرية المثلثة بوثبات جنونية، كوالدته، نحو ديونيسوس.

واشتركت كتائب «البصّارات» في القتال. وكانت إحداهن منفوشة الشعر، تاركة خصلاته تروح وتجيء، وهي تستعد بهياج جنوني للقتال مع الماء، وتنتقل بخطوات وحشية لا تستقر، وكأنها راقصة.

والأخرى، وبيتها في ساموتراس، وهي من «الكبيري»، راحت تقفز فوق صخور قمم لبنان، وهي تدندن بلحن بربري للكوريبانت[٢١٧].

وأخرى من «تمولوس» فوق ظهر لبؤة فتية، ضفرت في شعرها الرجولي حزمة من الأفاعي.

(٢١٦) Syrtis مياه ضحلة قرب تونس كان الفينيقيون ينشرون القصص عن أخطارها ليبعدوا غيرهم عن الإبحار فيها والوصول إلى الشاطئ والموانئ التجارية.

(٢١٧) Cabeiroi الاسم من أصل كنعاني بمعنى «الكبار»، وهو يرتبط بمجموعة آلهة نشرهم الفينيقيون في بلاد الإغريق. ومن التسميات المرادفة لهم: ديوسكورس وكوريبانتس وساموتراسيات، حسب فيلون الجبيلي (١:١٠، ١٤).

وميمالون مايونية[٢١٨]، مكشوفة الرأس، راحت تجأر وهي تضع قدمها فوق سفح عال وترغي زبداً من شفتيها، يماثل زبد البحر.

والسيلونيون[٢١٩]، وهم ثمالى بخمرة كيليكيا، كانوا يركبون أسوداً «مغدونية» ويرقصون بضجيج، مقابل الحشود البحرية.

كانوا يهزون بأيديهم قضبان الكرمة الحربية، وهم يقبضون على لبدات الأسود، ويشدونها ليوجهوها كمطايا هائجة بهذه الكوابح العنيدة.

وانتزع أحد السيلون سقف كهف صخري وهاجم به باليمون.

ثم لاحق إينو الهاربة في الماء بحربة من حراب الكرمة.

استعر قتال الواحد ضد الآخر:

وبدون خوف قذفت إحدى الباخوسيات حربة «طيرزي» ضد الشلفة الثلاثية، برغم أنها باخوسية وامرأة.

خرج نيروس إلى اليابسة لحماية البحر بسلاح من الزبد، متحدياً بان المحب للصخور.

وراحت باخوسية من الجبل تطارد إله «بلّين» بكرمة ملطخة بالدماء، ولكنها لم تستطع هزه!

وهاجم غلوكس ديونيسوس، لكن «مرون» قذفه بحربته «طيرزي» وأبعده عنه.

(٢١٨) Maia ابنة أطلس وزوجة زوس ووالدة «هرمس»، حسب الأوديسية (٤٣٥:١٤)، وهزيود (مولد الآلهة ٩٣٨). وكان الإغريق يطلقون اسمها على أحد نجوم الثريا. ويعني الاسم «الأم».

(٢١٩) أتباع الساطير سلينوس (ح ١٥٠).

وفيـــل، عـــالي القامـــة، كـــانت حركاته تهز الأرض، وهو ينقل قدميه الثـابتتين بركبـة لا تنطـوي، هـــاجم فقمة بحرية علــى اليابسـة بخرطومـه الطويل.

والسـاطيرات أيضـاً كـان نشـاطها الراقـص صاخبـاً، وهـي مطمئنـــة إلى قرونها في رؤوسها، المشابهة للثيران، بينمـا أذنابهـا المسـتقيمة تنطلـق مـــن وسطها تتلوى عند الإسراع.

جيـش مـن السـيلونيين اندفــع إلى الأمام، وأحدهم، وهو مسرع فوق ظهر ثور يحتضنه برجليه، كان ينفخ لحناً بمزماره المزدوج، المصنوع من قصبتـين مشدودتين معاً.

وباخوسية مغدونية، كانت تضرب صنجيها، وشعرها المنسـدل تلـوح بـه الريح القوية.

ضربـت بالسـوط عنـــق دب بـــري ليهجـــم علـــى وحـــش بحـــري مـــن الأعماق.

ووخزة من رمـح «طـيرزي» أثـارت فهداً متوحشاً من الجبال.

وإحدى البصَّـارات، وقـد تملكتهـا موجة انفعال مجنونة، اندفعـت فـوق البحـر بقدميهـا الجـافتين، وكأنهـا كانت ترقص فوق رأس بوزيدون.

راحت تدق الموج بقدميها، متوعدة البحـر الصامت، وهـي تجلـد المـاء الأصـم بحربتهـا «طـيرزي». وهــذه البصَّارة لا تغرق قط.

كان يلمع من عنقها شهاب ناري
متقد، فيثير روعة شعرها، دون أن
يحرق شيئاً.
وكانت «بسماتي»[٢٢٠] الغاضبة
على الشاطئ، قرب البحر، تراقب
هياج قتال ديونيسوس البحري. وقد
رثت لهذا العراك الرهيب، فنطقت
من قلبها بهذه الكلمات المخيفة:
«أيها الإله زوس! إذا كان لك
عطف على ثيتس[٢٢١] وأذرع
«بریاروس»[٢٢٢] المفتوحة، وإذا كنت
لم تنسَ «آيغايون»[٢٢٣]، حامي
شرائعك، أنقذنا من باخوس وجنونه!
«لا تدعني أرى غلوكس ميتاً
ونيراوس عبداً!
«لا تجعل ثيتس، وهي تبللها
الدموع، خادمة للايايوس، لا تسمح
بأن أراها عبدة لبروميوس[٢٢٤]، تاركة
الأعماق لتحرس أرض ليديا، تبكي في
وقت واحد أخيل وبلاوس
وبيرهس[٢٢٥]، الحفيد والزوج والابن!
«الرحمة لتأوهات «لوكوثيا»[٢٢٦]
التي اختطف زوجها ابنهما وذبحه –
لقد ذبح الأب القاسي القلب ابنه
بسكينه القاتلة!»

* * *

كانت تتلو صلاتها ويستمع لها
زوس في العلاء.
قرر تسليم يد بيروي لمزلزل الأرض
وإسكات القتال بين المتنافسين.

(٢٢٠) Psamathe إحدى النيريات، وهي والدة فوكوس (أوفيد ١١:٣٩٨).

(٢٢١) Thetis تبكي أخيل وحيدها (ح ٦٧).

(٢٢٢) Briareus حسب هزيود هو ابن السماء والأرض. وله مئة ذراع وخمسون رأساً فوق كتفيه (مولد الآلهة ١٤٧) وهو أحد ثلاثة أبناء بهذا الشكل وقد ساعد زوس في حربه على التيتان لاستعادة النظام (٧١٣).

(٢٢٣) Aigaion حسب الإلياذة هو والد برياروس (١:٤٠٤).

(٢٢٤) Bromios هو من أسماء ديونيسوس ذاته ومنها: لايوس، باخوس، وابن النار، حسب أوفيد (٤:١١).

(٢٢٥) Peleus هو زوج ثيتس والدة أخيل حسب أوفيد (١١:٢١٧). وغدا ابن أخيل يدعى بعد ذلك «نيو بتوليمس»، حسب ما ورد في الأوديسية (١١:٥٠٨).

(٢٢٦) Leucothea (ح ١٨٢).

من السماء كان يتأمل قتال العرس غير المحسوم بعد.
أرسل صواعق مهددة نحو ديونيسوس.
كان إله الخمر، المجروح بسهم الحب، لا يزال يرغب في الفتاة.
لكن زوس الأب في العلاء أوقفه بقصف من صوت الرعد.
وأبطل الصوت، من الوالد، الرغبة في النزال.
وبخطوات مترددة تخلى وابتعد من اجل سلام ثقيل.
أدار ظهره ليرى، بنظرة حزينة، الفتاة للمرة الأخيرة.
وبأذنين خجلتين، وغيرة كبيرة، سمع أغاني عرس ميمونه في البحر.
كان النفير يأتي من الأزرق، يعلن بأن المراسم غدت شبه جاهزة.
ونيراوس، كحاجب لميمونه، كان يعرض سرير العروس وهو يلوح بمشاعل النار التي لا تطفئها مياه.
غنى فوركس أغنية، وبحماسة مماثلة رقص غلوكس، وملكارت كان يمرح.
وغلاطية، كانت تلحن لرقصة عرس، وبدون أن تهدأ تدور بخطوات واثبة، وتنشد أهازيج الزواج، لكونها كانت تعلمت الغناء من بوليفيموس على «شبابة» الراعي.

* * *

وبعد الاحتفال بعرس بيروي في البحر غدا عريسها، مزلزل الأرض، صديقاً لأرض وطنها.

منح أبناء بلادها الانتصار في حروب البحر، كهدية ثمينة لمصاهرته لهم.

لقد كان عرساً ثرياً.

قدم نيراوس العربي لمخدع العرس في الأعماق، هدية حب عظيمة القيمة، عملاً متقناً من إنتاج هيفايستس، زينة أولمبية للعروس.

عقد وأقراط وأساور جلبها وقدمها.

كل الذي صنعه الفنان «اللمني»[٢٢٧] للنيريات، وهو ما لا يمكن تقليده في مصنع بين الأمواج.

هناك في وسط الأزرق، طرق سندانه الفظيع، وجهز ملاقطه تحت الماء، ونفخ بكيره الممتلئ بالهواء. وعندما اشتعل موقده راحت النار تزأر في الأعماق دون أن تنطفئ.

أحضر نيراوس عندئذ هذه الهدايا العظيمة التنوع.

فالفرات «الفارسي» قدم للفتاة المطرزات الفذّة من صناعاته.

والرين الإيبيري، جلب لها الذهب.

وباكتولوس الشيخ، جاءها ليقدم لها هدايا مماثلة من مناجمه الثرية، ولكن، بيد حذرة لأنه خشي من سيد الليديين باخوس، ملكه. كما خشي من رحيه جارته وحامية مدينة بلاده مغدونيا.

(٢٢٧) Lemnos هي جزيرة في بحر إيجيه ينسب إليها هيفايستس.

وجلب إريدانوس هدايا براقة:
عنبر من أشجار هيلياد ونسغها الغني.
ومن الصخور الفضية، جميع معادن «ستريمون»، وجميع ما تملكه «غادس»[228] جيء به كهدية زواج لميمونة من البحر الأزرق الشعر.
وهكذا بدأ الرقص. وكان مزلزل الأرض سعيداً في مخدع عرسه تحت الماء.
لكن لايايس، لم يبتسم أبداً، وجاء أخوه إيروس[229] لتعزيته في غيرته الحانقة:
«لماذا يا ديونيسوس لا تزال تحمل الحقد على هذه الصفقة التي أدّت للزواج.
«بيروي لم تكن عروساً خاصة لباخوس. وهذا الزواج من البحر هو المناسب.
«أنا جمعت ابنة أفروديت البحرية مع زوج مقيم في البحر.
«إني احتفظ لك بواحدة ألذ لغرفة عرسك.
«إنها «أريادني»[230] من عائلة مينوس وهي قريبتك.
«أترك ميمونه للبحر، إنها لا شيء، واحدة من عائلة البحر ذاته.
«عليك أن تترك جبال لبنان، ومياه أدونيس، وتذهب إلى «فريجيا» بلد الفتيات الجميلات.
«هناك تنتظرك عروس بدون مياه مالحة، «أورا»[231] من بقايا التيتان.

(٢٢٨) بعد أن عدد أسماء الأنهار التي قدمت هدايا زواج لبيروي وبوزيدون ذكر هدايا مدينة قادش الفينيقية وما يحمله منها البحر. وكانت أهم تقدمة لبيروت النار التي تشتعل في أعماقها. وهو يقصد هنا توقد عبقرية الفن والإبداع، حسبما شرح ذلك الكونت دي مرسيلس، المترجم الفرنسي، في حاشيته.

(٢٢٩) Eros هو الذي جمع بيروي وبوزيدون. وهنا حسب تعبير نُنُوس يكون إيروس ابناً لزوس، مثل ديونيسوس. ولم يرد هذا لدى أحد قبله (ح ٤٣).

(٢٣٠) Ariadne هي ابنة مينوس وباسيفاي. أحبت «ثيزاوس» وأنقذته من التيه بعد أن قتل «المينوتور»، وذلك بعد أن سألت «ديدالوس»، باني التيه، عن طريق الخروج منه. وقد ربط ثيزاوس خيطاً بباب البناء وراح يجر الخيط إلى حيث المينوتور، فقتله بقبضة يده وفر مع الأولاد الذين كانوا محتجزين هناك. ثم فرّ مع أريادني إلى جزيرة «ناكسوس». وهناك شاهده ديونيسوس، فأحب الفتاة وخطفها إلى «لمنوس»، حيث ولد له منها أربعة أولاد، حسب أبولودورس («الخلاصة ١:٦، ٩») وبعد موتها دفنت في كورنثيا وأنشئ لها مزار هناك حسب بوزانياس (٢:٢٣، ٨)، وفي «رحلة الأرغونوت» يعرفها أبولونيوس رودس بأنها ابنة الشمس. وقد غدا لها شعار في السماء (٣:٩٩٧).

(٢٣١) Aura تعني اللفظة «الهواء»، ولكن الشاعر يذكرها من بقايا التيتان.

«تراقيا صديقة العرسان ستستقبلك، مع إكليل النصر و«عرزال» للعرس.

«ستدعوك «بالين»[٢٣٢] المحاربة أيضاً، حيث على شرفها سأتوجك بإكليل زواج، يليق ببسالتك، عندما تربح جولة الحب الافروديتي العذب.»

* * *

هكذا تكلم إيروس المتوحش إلى أخيه، مجنون الحب، باخوس. وعندئذ صفق بأجنحته النارية الرنانة، وطار العصفور المحتال في الفضاء، مسرعاً إلى أن حط في بيت زوس.

وفارق ديونيسوس، برضى وسرور أرض «أسّيريا»، متجهاً إلى أرض ليديا، مارا في سهل الباكتول، حيث المياه السمراء تحمر بلون الذهب بسبب وفرة الرمال فيها.

دخل إلى «مايونيا» ووقف أمام «رحيه»[٢٣٣] والدته، مقدماً لها هدايا ملكية من بحر الهند.


وبعد ذلك ترك مجرى النهر بثرائه العميق والسهل الفريجي والأمة التي تعيش بهدوء ورقّة، وغرس كرمته في السهل الشمالي، وعبر من مدن آسيا إلى المدن الأوربية.

(٢٣٢) Pallene هي هنا مدينة في تراقيا، يعتقد الأهلون أن حرباً بين الآلهة حدثت فيها حسب بوزانياس (٢٥:١، ٢ و٢٩:٨، ١).

(٢٣٣) Meonie هي بلدة هوميرس. وهو أي الشاعر يعرف رحيه بأنها والدة ديونيسوس. والمقصود أنها والدة زوس ذاته والد ديونيسوس حسب المشهور من أساطيرها.



لوحة ديونيسوس العاشق
للفنان دي لافونس - متحف ديجون



أدونيس وعشتروت

للفنان فيرونيزى من متحف تاريخ الفن في فيينا

Albright (William Foxwell), Yahrweh and the Gods of Canaan; ed. University of London, The Athlone Press, 1968.

Apollodorus, 2 vols.; ed. LOEB Classical, 1967.

Apollonius of Rhodes, The Voyage of Argo; ed. Penguin Classics, 1959.

Aristotle, The Politics; ed. J.M. Dent & Sons, London 1952.

Arrian, Life of Alexander the Great; ed. Penguin Classics, 1958.

Astour (Michael C.), Hellenosemitica; ed. Leiden E.J. Brill, 1967.

Berard (Victor), Les Phéniciens et l'Odyssée; éd. Armand Colin, Paris 1927.

Branden (Alb. Van Den), Histoire de Thamoud; éd. l'Université Libanaise, Beyrouth 1966.

Collart (Paul), Nonnos de Panopolis; éd. Imprimerie de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1930.

Diodorus Siculus, 12 vols.; ed. LOEB Classical, 1968.

Euripide, (Théâtre complet 3); éd. Garnier-Flammarion, 1966.

Eusèbe de Césarée, la Préparation Evangélique; éd. C.E.R.F., 1974.

Flavius (Josèphe), Contre Apion; éd. Les Belles Lettres, Paris 1930.

Flavius (Josèphe), Histoire Ancienne des Juifs et la Guerre des Juifs Contre les Romains; éd. LIDIS, Paris 1968.

Frazer (Sir James George), The Golden Bough (Abridged); ed. Macmillan & Co., London 1960.

Gaster (Theodor), Thesis; ed. Harper Torchbooks, N.Y. 1966.

Graves (Robert), The Greek Myths, 2 vols.; ed. Penguin Books, 1969.

Herodotus, The Histories; ed. Penguin Classics, 1960.

Hesiod and Theognis; ed. Penguin Classics, 1973.

Homere, L'Odyssée; éd. Garnier-Flammarion, 1965.

Homer, The Iliad, ed. The University of Chicago Press, 1951.

Jamblique, Les Mystères d'Egypte; éd. Les Belles Lettres, 1966.

Livy, Rome and the Mediterranean; ed. Penguin Classics, 1976.

Lucien (De Samosate), La Déesse Syrienne; éd. Janick, Paris 1947.

Lucrèce, De la Nature; ed. Librairie Hatier N°. 136.

Manetho, ed. LOEB Classical, 1980.

Mesnil Du Buisson (Robert de), Nouvelles Etudes sur les Dieux et les Mythes de Canaan; éd. Leiden E.J. Brill, 1973.

Mesnil, Du Buisson (Robert de), Etudes sur les Dieux Phéniciens Hérités par l'Empire Romain; éd. Leiden E.J. Brill, 1970.

Ovide, Les Métamorphoses; éd. Garnier-Flammarion, 1966.

Pausanias, Guide to Greece, 2 vols.; ed. Penguin Classics, 1971.

Philostratus, Imagines; ed. LOEB Classical, 1960.

Philostratus, The life of Appolonius of Tyana, 2 vols.; ed. LOEB Classical 1960.

Polybe, Histoire; éd. Gallimard, 1970.

Pritchard, Ancient Near Eastern Texts, 3rd edition; ed. Princeton University Press, 1969.

Strabo, 8 vols.; ed. LOEB Classical, 1966.

Tacitus, The Histories; ed. Penguin Classics, 1964.

Thucydide, 2 vols.; éd. Garnier-Flammarion, 1966.

Virgil, The Aeneid; ed. Charles Scribner's Sons, 1954.

Oxford Classical Dictionary, 1968.

Nonnos de Panopolis; éd. Les Belles Lettres, 1976.

Nonnos de Panopolis, trad. par Le Comte de Marcellus, 1856.

Nonnos, Dionysiaca, 3 vols.; ed. LOEB Classical, 1956.

الفهرس للأعلام

وفق أرقام الحواشي

طبعت النصوص ونسّقت بينها
السيدة جاكلين تميم
تلفون ٠١/٢٨٣٧٥٤



هي بيروت

خلال الألم أعطت (أفروديت) للعالم وليدتها الحكيمة فوق كتاب الشرائع «الأتيكي»، كما تفعل نساء «لاكونيا» اللواتي يلدن أطفالهن فوق درع حربي من الجلد.

لقد ولدت طفلتها الجديدة «بيروي» من رحمها الأمومي بمساعدة القاضي هرمس الحكيم، الرجل الذي قام بدور القابلة.. هكذا ظهرت الطفلة للنور.

استحمت الفتاة بالرياح الأربع المتنقلة بين جميع المدن، مالئة الأرض بمبادئ بيروت.

وكان أوقيانوس الرسول الأول لتشريعات الطفلة الوليد، فكان يرسل أمواجه إلى أسرّة الأطفال يلف بها خصر العالم كحزام من ماء دائم التدفّق.

والزمن المعاصر له، بيديه الدهريتين، كان يلف الطفلة المولودة بثوب من العدالة، متنبّئاً بالأشياء التي ستحدث.

لقد أراد التخلص من عبء العمر، كما تفعل الحية حين تتخلص من جلدها القشري الضعيف وغير النافع، وذلك كي تنمو فتوّته من جديد حين الاستحمام بأمواج الشرائع.

غنّت الفصول الأربعة مترنّمة عندما ولدت أفروديت ابنتها المدهشة.

بيروت..

(١٨٥-١٧٠٠٤١)